كتابات مدارس الاستشراق الأوروبية في الرحلات إلى مكة المكرمة

عبد الله بن علي بن أحمد القرني [1]

الملخّص

تدور إشكالية هذا البحث حول الوقوف على حقيقة مدارس الرحالة المستشرقين إلى مكة المكرمة من البلدان الأوروبية بأنواعها وسماتها، وأقسام الرحالة منها وفق غاياتهم وتطلعاتهم من هذه الرحلات. ويعد القرن العاشر الهجري، وما بعده بداية النشاط والتأليف في كتب الرحلات إلى مكة من لدن الرحالة المستشرقين، مع ما صحبه من اهتمام بالغ من الغربيين للتعرف على مكة وأسرارها، والتعرف على أحوال المسلمين فيها. وقد استخدم الباحث منهج البحث الوصفي حيث هدف البحث إلى التعريف بأبرز مدارس الرحالة المستشرقين من الدول الأوروبية، والوقوف على سمات كل واحدة منها، وتصنيف الرحالة المستشرقين حسب غاياتهم واتجاهاتهم، واستعراض رحلات أبرز الرحالة المستشرقين من كل مدرسة من هذه المدارس الأوروبية، واشتمل البحث على مدارس الاستشراق الأوروبية البرتغالية والفرنسية والألمانية والإيطالية والفنلندية والهولندية في الرحلات إلى مكة. ومن أبرز نتائج البحث: كتب المستشرقون الرحالة إلى مكة العديد من انطباعاتهم عن أهل مكة، وتضاريسها، ووصف أحوالها والثقافة الغالبة فيها وفي أهلها وزائريها من الحجاج والمعتمرين، وبعضهم بأسماء إسلامية تُقدم لقب الحاج الذي يعتبر مفخرة عند المسلمين لكل من حج البيت، ومع اتفاق أهداف وغايات المدارس الاستشراقية الأوروبية في الرحلة إلى مكة، إلا أن كل مدرسة منها كانت لها سمات تميزها عن بقية المدارس. ومما أوصى به الباحث: جمع كتابات الرحالة المستشرقين الأوروبيين وتصنيفها حسب موضوعاتها أو حسب أصناف المستشرقين، فهي مادة معرفية وثقافية مهمة. والتوصية بإفراد كل مدرسة من مدراس الاستشراق الأوروبية إلى مكة في بحث خاص بها وبرحالتها البارزين.

الكلمات المفتاحيه: الاستشراق , الرحلات, مكه المكرمه

[1] أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية المساعد قسم الدعوة والثقافة الإسلامية جامعة أم القرى. < aaqrni@uqu.edu.sa >

Writings of the European schools of orientalism on the trips to Makkah Al-Mukarramah

Abdullah bin Ali Al-Qarni [2]

Abstract

The problem of this research lies in identifying the reality of the schools of orientalist travelers who travelled to Mecca from different European countries with their various types and characteristics. The study also deals with the different types of travelers with their distinct goals and aspirations from these trips.The tenth century AH, and beyond, is considered as the beginning of the orientalist travelers' activity in writing travel books to Mecca, showing greater interest in learning more about Mecca and its secrets, and to learn about the conditions of Muslims in it. The researcher used the descriptive research method, aiming to introduce the most prominent orientalist traveler schools from European countries, identify the characteristics of each school, classify orientalist travelers according to their goals and directions, and review the trips of the most prominent orientalist travelers from each of these European schools. The research included Portuguese, French, German, Italian, Finnish, and Dutch European Orientalism schools on the Journeys to Mecca. Among the most prominent results of the research: Orientalists traveling to Mecca wrote many of their impressions about the people and terrain of Mecca, and described its conditions and the prevailing culture in it and in its people and visitors from pilgrims, especially presenting the title of Hajj in front of their Islamic names, which is considered a pride for Muslims for whoever visited Mecca and do the pilgrimage. In spite of the agreement of goals of these European orientalist schools in the journey to Mecca, each school has features that distinguish it from the other schools.The researcher recommended collecting the writings of European orientalists travelers and classifying them according to their topics or according to the types of orientalists, as they are important materials and a good subject of study. It is also recommended to single out each school of European orientalism to Mecca in a separate research, tackling with it and its distinguished travelers.

Keywords: Orientalism, trips, Mecca

[2] Prof. Dr of Islamic Da`wah, Department of Islamic Da`wah, Umm Al-Qura University. aaqrni@uqu.edu.sa

المقدمة:

مقدمة البحث

الحمد لله الذي اختار مكة لتكون مهبط الوحي ومنطلق دعوة رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم.. وبعد:

لاتزال مكة إلى يومنا هذا مركزاً لتجمع المسلمين من مختلف أقطار المعمورة، وداراً للإيمان والعلم، فهي قاعدة الإسلام دائماً كما كانت قاعدته أولاً، ومعقل الإيمان آخراً كما كانت سابقاً، وللمقام بها حقوق وفضائل لا يمكن أن تكون لغيرها.

والرحلة إلى مكة ورؤية فجاجها ومشاهدها رحلة إيمانية ليس لها نظير، ومنظر الزائرين من الحجاج والمعتمرين له أبلغ الأثر في النفوس، فلا يُعلم تجمع بشري تختلف فيه اللغات والأجناس، وتتوحد فيه الوجهة واللباس، كما يكون في مكة المكرمة، وذلك مما يحث الباحث على النظر والتفكر في أسرار مكة ومجتمعاتها، وسبر أغوارها والاطلاع على أسس ثقافتها معارفها؛ وذلك من خلال استعراض مدارس الرحالة المستشرقين الأوروبيين إلى مكة وما أولاه الرحالة المستشرقين من هذه المدارس من عناية فائقة برصد أحوال مكة في كتاباتهم وأحاديثهم.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

1. تكمن أهمية هذا الموضوع في أن الرحلات إلى مكة ذات أهمية بالغة في بيان الحالة الثقافية لمكة، لما حوته من تصوير بديع عن أحوال مكة وأهلها، وأحوال الزائرين إليها، بوصف دقيق متقن، يبدع فيه الرحالة بحيث يُري القاري صورة متكاملة رسمها الرحالة بريشة كلماته المتناسقة عن مكة وأهلها والزائرين لها، فتحظى فيها بالعديد من الجوانب الثقافية التي تحتاج إلى الإبراز والتوقف عندها ملياً، فإن مكة المكرمة أحب بلاد الله إليه، وقد باركها وعظّمها، فثقافتها مؤثرة أبلغ الأثر على من زارها.
2. إن كتب الرحلات عين على الثقافة والجغرافيا والأدب والفنون، وهي جديرة بالاهتمام لما فيها من الاستقلالية غالباً في وصف المجتمعات وثقافاتها، مما يجعل الباحث في الثقافة يهتم بمضامينا دراسة وتحليلاً، وقد كان لمكة من نصيب الرحالة المسلمين وغيرهم أوفر الحظ والنصيب، على مر القرون المتتالية، مما يجعلنا نكتشف من خلالها صورة ثقافية متكاملة عن مكة المكرمة في رحلة عبر الزمن الطويل.
3. كما يعد القرن العاشر الهجري، وما بعده بداية النشاط والتأليف في كتب الرحلات إلى مكة ن لدن الرحالة المستشرقين، مع ما صحبه من اهتمام بالغ من الغربيين للتعرف على مكة وأسرارها، والتعرف على أحوال المسلمين وشعائرهم في مكة، مما يجعل الباحث يهتم اهتماماً بالغاً بهذا الفترة المهمة في تاريخ مكة المكرمة.
4. ما تميزت به كتب الرحلات من كونها عيناً كاتبة لأحوال المجتمع المكي،

وثقافاته، وأحواله، مما يجعل الباحث يهتم بها كمرجع يُستفاد منه في الكشف عن الأحوال الثقافية للمجتمعات.

أهداف البحث:

يرمي هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1. التعريف بأبرز مدارس الرحالة المستشرقين من الدول الأوروبية.
2. الوقوف على سمات كل واحدة من هذه المدارس.
3. تصنيف الرحالة المستشرقين إلى مكة المكرمة إلى أربع فئات حسب غاياتهم واتجاهاتهم.
4. استعراض رحلات أبرز الرحالة المستشرقين من كل مدرسة من هذه المدارس الأوروبية.

إشكالية البحث وتساؤلاته:

تدور إشكالية هذا البحث حول الوقوف على حقيقة مدارس الرحالة المستشرقين إلى مكة المكرمة من البلدان الأوروبية بأنواعها وسماتها، وأقسام الرحالة منها وفق غاياتهم وتطلعاتهم من هذه الرحلات.

وتتفرع عن هذه الإشكالية عدة تساؤلات يسعى الباحث للإجابة عنها، كما يأتي:

1. ما أبرز البلدان الأوروبية التي انطلق منها الرحالة المستشرقين إلى مكة المكرمة؟
2. ما الفئات التي يمكن توزيع الرحالة المستشرقين إلى مكة المكرمة على وفقها؟
3. ما سمات الرحلات الاستكشافية الاستشراقية لكل مدرسة من هذه المدارس؟
4. من أبرز الرحالة المستشرقين من هذه المدارس إلى مكة؟

حدود البحث:

الحدود الزمانية: ما سطره الرحالة المستشرقون الذين دخلوا مكة في كتب الرحلات، من القرن العاشر، وحتى القرن الرابع عشر الهجري. فقد كانت هذه الفترة أغزر فترات الكتابة في الرحلات، كما أنها اشتملت على بداية كتابة المستشرقين ورحلاتهم إلى مكة المكرمة.

الحدود المكانية: مكة المكرمة وما يتبعها، مما يقتضيه البيان عن الواقع الثقافي لمكة.

الحدود الموضوعية: ينحصر هذا البحث في استعراض مدارس الرحالة المستشرقين إلى مكة المكرمة الدول الأوروبية: البرتغال وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وفنلندا وهولندا، وقد تم استبعاد بريطانيا لوسع الحديث فيها وحيث قد أفردها الباحث ببحث مستقل، وكذلك تم استبعاد روسيا لاشتراكها بين أوروبا وآسيا.

منهج البحث:

اعتمدت في هذا البحث على منهج البحث العلمي الوصفي الذي يعرّف بأنه: "الجمع المتأني والدقيق للسجلات والوثائق المتوفرة ذات العلاقة بموضوع البحث من أدلة وبراهين تبرهن على إجابة أسئلة البحث"[3]، فهو يسعى إلى جمع الحقائق والبيانات عن الظاهرة المدروسة وتفسيرها وتحليلها واستنباط النتائج والدلالات المفيدة التي تؤدي إلى إصدار تعميمات بشأن موضوع الدراسة وكيفية الاستفادة منه، وهذا ما حاولت جاهداً تطبيقه في بحثي هذا.

الدراسات السابقة:

لم يقف الباحث على أي دراسة في هذا الموضوع، باستثناء بعض الكتب العامة والتاريخية عن الرحالة المستشرقين من الأوروبيين إلى عدة بلدان في العالم الإسلامي، وكذلك ما كُتب عن بعض الرحالة المستشرقين ومغامراتهم في كثير من البلدان، وكلها تم الاستفادة منها كمراجع لهذا البحث.

ولعل أقرب دراسة علمية لهذا البحث رسالة مشعل بن نايف الدهاس من جامعة أم القرى في قسم التاريخ بعنوان: الحجاز من خلال كتب الرحالة المشارقة من خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين دراسة تاريخية وحضارية، فهذه الرسالة وغيرها قد اهتمت بجانب الرحلات من الناحية التاريخية، على أنها اقتصرت على الرحالة المشارقة في القرنين الثالث والرابع الهجريين، وهذا افتراق جوهري عن بحثي هذا المتخصص بمدارس الرحالة المستشرقين إلى مكة المكرمة فقط.

تقسيمات البحث:

قسمت هذا البحث إلى ملخص وترجمته ومقدمة منهجية ومدخل وستة مباحث وخاتمة وقائمة المصادر والمراجع، كما يأتي:

- ملخص البحث بالعربية.
- ملخص البحث بالإنجليزية.
- مقدمة البحث.
- مدخل.

المبحث الأول: المدرسة الاستشراقية البرتغالية في الرحلات إلى مكة المكرمة.

المبحث الثاني: المدرسة الاستشراقية الفرنسية في الرحلات إلى مكة المكرمة.

---

[3] صالح العساف **المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية**، ، ص: ٢٠٦.

المبحث الثالث: المدرسة الاستشراقية الألمانية في الرحلات إلى مكة المكرمة.
المبحث الرابع: المدرسة الاستشراقية الإيطالية في الرحلات إلى مكة المكرمة.
المبحث الخامس: المدرسة الاستشراقية الفنلندية في الرحلات إلى مكة المكرمة.
المبحث السادس: المدرسة الاستشراقية الهولندية في الرحلات إلى مكة المكرمة.
الخاتمة:

- نتائج البحث.
- التوصيات.
- قائمة المصادر والمراجع.

مدخل:

بدأت طلائع المستشرقين مع بدايات النهضة الأوروبية، ووصلت إلى بلاد المسلمين في أواسطها وأقصاها، لا تكلّ، ولا تملّ، بأسلحة الأقلام التي لا تقف عن الكتابة، والملاحظة، والنشر، "إن المستشرقين أعظم طبقة تمخضت عنها النهضة الأوروبية، فهم رضوا لأنفسهم أن يظلوا مغمورين في حياة بدأت تموج بالحركة، والغنى، والصيت الذائع، وحبسوا أنفسهم بين الجدران المختلفة، وراء أكداس من الكتب مكتوبة بلسان غير لسان أممهم التي ينتمون إليها؛ لا همّ لهم إلاَّ حيازة كنوز علوم دار الإسلام مع قدرتهم على مخالطة أهل الإسلام في ديارهم، وعلى وجوههم سيما البراءة، والتواضع، وسلامة الطوية والبشر"[4].

وقد كان من أوائل حملة لواء الاستشراق الرهبان الذين خرجوا من كنائسهم للبحث عن علوم الشرق، وترجمتها، وتبعهم في ذلك فئام لبسوا زي التاجر، والرحالة، والصديق الناصح، والمسلم العابد، والباحث في دراسات الشرق حتى يتعرفوا على أخبار المسلمين، ودقائق حياتهم الاجتماعية، فلا يكاد يخطئ عيونهم ملاحظة إلاَّ رصدوها ونشروها، ممّا مكنهم ليكونوا اليد القوية في الفهم والمعرفة بالشرق، ومكامن قوته وضعفه، ونشر ذلك للمستعمرين الغازين، فيتحول الخطاب الاستشراقي من ميدان المعرفة المجردة إلى ميدان وخطاب سيطرة الغرب على الشرق والتعريف به.[5]

ويُعتبر الرحالة المستشرقون الذين وصلوا إلى مكة المكرمة من الرواد الذين حازوا بذلك وسام التميز بنوع خاص من الشجاعة، والجسارة، والصبر، والتحمل لأنواع من أوصاب الصحراء ومناخها لم يكن يألفها الغربي.

وقد صاحب التوسع الغربي في البعثات والاكتشافات توسع في الوصول إلى جزيرة العرب، وكشف

---

[4] **رسالة في الطريق إلى ثقافتنا**، محمود شاكر، (48- 49)، بتصرف.

[5] ينظر: **رسالة في الطريق إلى ثقافتنا**، محمود شاكر، (55- 56)، وينظر: **الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق**، إدوارد سعيد، (44)، **والاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم**، د. مصطفى السباعي، دار النبراس ودار الوراق، الطبعة الثالثة، 1435هـ، (17)، **والاستشراق والمستشرقون**، د. عدنان وزان، (17، 24).

أسرارها التي خفيت عن الغرب قروناً طويلة، فكانت من أوائل الدول الغربية التي اكتشفت العالم المجهول عنها البرتغال، والتي قدمت كذلك أول رحّالة يسير في خدمتها في رحلة لاكتشاف الطرق البرية للشرق وهو الرحالة "فارتيما"، الذي بدأها من مصر فالشام حتى وصل الهند مروراً بمكة والتي زارها في موسم الحج في القرن السادس عشر.

ومع بدايات عصر النهضة الأوروبية شجعت مملكة البرتغال الرحالة على اكتشاف العالم، وبدأت باكتشافات مهمة للعديد من المناطق التي كانت تجهلها في العالم، وكان منها مكة المكرمة، إذ ابتدأت من القرن السادس عشر الرحلة إليها، حيث كُتب عنها ما يقرب من أربع رحالات، واستمرت بعد ذلك الرحلة إليها، حتى كان اشتدادها في القرن التاسع عشر الميلادي، حينها بلغ ما كتبه الرحالة عنها خمس عشرة رحلة.

وكثرة الرحلة إلى مكة المكرمة في القرن التاسع عشر- عصر التمدد الاستعماري- يُعطي تصوراً مهماً لما كانت تتسم به العديد من تلك الرحلات في توجهها ودوافعها للعمل لصالح قوى الاستعمار والنفوذ، فبدت طبائع الاستعمار تظهر في كتب الرحالة فيمن همه التعرف على طرق التجارة، وموارد الاقتصاد، ومن يهمه معرفة أحوال المسلمين، وتأثير الحج على رعايا دولهم من المسلمين، ونحو ذلك مما سيظهر لنا.

لقد أبقت كتب الرحالة العديد من انطباعات روادها عن أهل مكة، وضيوفها، وتضاريسها، ووصف أحوالها، ومناخها، بأقلام لا تكل، ولا تمل، وبأسماء إسلامية تُقدم لقب الحاج، الذي يعتبر مفخرة عند المسلمين لكل من حج البيت.[6]

فبدأ السور العظيم لمكة والذي حجب الكثير من الأوربيين عن اكتشاف ما بداخله يتراءى لجموع الرحالة الذين وصفوا كل شيء داخل مكة، فنشأة الإمبريالية الغربية الجديدة جعلت التجار وطالبي الأرباح من الاستعماريين يتقاطرون نحو إفريقيا ومنها إلى الشرق.[7]

وسأذكر في هذا البحث المدارس التي ينتمي إليها أولئك الرحالة، مع الاهتمام بالمدرسة على حساب أصل الرحالة، أو مكان ولادته، فالبحث هو مع الرحالة في دافع ذهابه إلى مكة، والمؤثر عليه في ذلك.

ويمكن تقسيم الرحالة الغربيين الذين وصلوا إلى مكة إلى أربع فئات:

الأولى: أولئك الرحالة المكتشفون لمكة المكرمة إما قصداً، أو مصادفة من "فارتيما" و"وايلد" إلى "بيتس".

---

6 ينظر: **مكة المكرمة في عيون غير المسلمين**، أ. د محمد السرياني، معراج النواب، مركز تاريخ مكة، الطبعة الثانية،1432هـ، (14).

7 ينظر: **بلاد العرب القاصية**، بيتر برينث، (118).

الثانية: المتحمسون للعلم والاطلاع من أمثلتهم "علي باي"، و"بوركهات".

الثالثة: المولعون بالمغامرات، وحب الاطلاع مثل: "فون مالتزن"، و"بيكنيل"، و"جيل كورتيلمون".

الرابعة: الذين غلب عليهم العمل في خدمة الإستعمار ومؤسساته، مثل: "سنوك هورخرونيه"، " عبد الله فيلبي".

الخامسة المسلمون الراغبون في الوصول إلى مكة استجابة لنداء الإيمان من أمثال: "ناصر الدين دينييه" و"مالكوم إكس" و"مراد هوفمان".

وبعضهم ينتمي إلى فئتين، والبعض يصعب تصنيفه مثل " ليون روش".

فالرحالة إلى مكة من الغربيين المستشرقين مجموعة متنافرة رسخوا أنفسهم لموضوع واحد، وموضع واحد، إنها حرفة بعيدة من "بيتس" الذليل إلى "باديا" الكريم، ومن "بوركهات" العلمي إلى "كورتيلمون" الشاعري، ومن "هوخرونيه" الناكر لذاته إلى "روش" المتحدث عن سيرته الذاتية، ومن "وايلد" الغامض إلى "بيرتون" الذائع الشهرة والصيت، وهم مع ذلك فهم مختلفون في أهدافهم، وأزمانهم، وبلدانهم، لكنهم يتفقون في قصدهم لمكة المكرمة، وكتابة رحلاتهم، وتدوين انطباعاتهم عنها. [8]

وقد قسمت مدارس الرحالة الغربيين المستشرقين إلى مكة المكرمة في المباحث التالية إلى ما يلي:

المبحث الأول: المدرسة الاستشراقية البرتغالية في الرحلات إلى مكة المكرمة

تعد المدرسة البرتغالية تجديداً لعهود الحروب الصليبية، وتدشيناً لعصر الاستعمار الجديد الذي سيغزو المشرق وبلاد أفريقيا، دافعه الأساسي في ذلك أمران يتعانقان: الدافع الديني بكره الدين الاسلامي ومحاولة القضاء عليه، والدافع الاقتصادي بالبحث عن طرق التجارة واحتكارها، وإبعادها عن بلاد المسلمين.

فحمل البرتغاليون لواء الاستعمار إلى المشرق بسفنهم التي طافت على أفريقيا، واكتشفت طريق الرجاء الصالح الذي غيّر مسار التجارة، وطرق الانتقال إلى الشرق وبلاد الهند، فوصل رُبّانهم إلى شواطئ عدن، والبحر الأحمر، وبحر الخليج، ومضيق هرمز، والتقت مع أساطيل المماليك الحاكمين لمصر والحجاز فهزمتهم، وطوقت بلاد المسلمين من جانبهم الخلفي، مصطحبة معها الحقد الصليبي على كل ما هو إسلامي، يقول ملك البرتغال في رسالته إلى سلطان المماليك الغوري[9] مهدداً له ومتوعداً: "فليحذر السلطان من أن البرتغال تعتزم أداء واجبها المسيحي بدخول البحر الأحمر، وتدمير مكة، وقبر

---

[8] ينظر: **مكة المكرمة في عيون رحالة نصارى**، أغسطس رالي، ترجمة: أ.د حسن غزالة، طبعة دارة الملك عبد العزيز، 1430هـ، (287).

[9] قانصوه الغوري (850 – 922 هـ) هو السلطان قانصوه بن عبد الله الظاهري، الأشرفي الغوري، من سلاطين مصر، جركسي الاصل، مستعرب، وكان من أقوى حكام المماليك، وفقد بعد معاركه مع العثمانيين922هـ. ينظر: معجم المؤلفين، لعمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة، مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي، (127/8).

النبي، ونبش رفاته"[10].

كما كان الدافع السياسي حاضراً بحصار العثمانيين من الخلف، وتحطيم دولتهم التي تحاصر أوروبا من الغرب، وصدور المرسوم البابوي الداعي بمفاجأة العثمانيين من الخلف، ومسارعة البرتغاليين إلى ذلك بنزعة عسكرية حاقدة للقضاء على المسلمين. [11]

فكانت النزعة الصليبية حاضرة مع البرتغاليين بوضوح بيّن، فقد كانت نظرتهم وتصوراتهم أن "الإسلام العدو الوحيد، ويجب محاربته في كل مكان، ولا يمكن فهم الكثير من نشاطات البرتغاليين في آسيا إلاَّ من خلال هذا المفهوم، فلم يكن التوسع الأوروبي في المياه الآسيوية بمثابة تقدم حضاري، ولا بمثابة لعبة يحركها التجار الأذكياء من وراء الكواليس، وإنما هو محاولة للحد من السيطرة البحرية للدولة الإسلامية الواسعة الانتشار في الشرق الأوسط"[12]. "فطمع البرتغاليين في إنشاء إمبراطورية فيما وراء البحار، وتيسير السفن حول شاطئ أفريقيا الغربي، وفك حصار المسلمين عن الحبشة"[13] هي معاقد اهتمامهم، ودوافعهم.

ففي بدايات عصر النهضة وأواخر القرن الخامس عشر ازداد الأوروبيون حباً للاطلاع واكتشاف العالم المجهول عنهم، لدوافع متعدّدة، فأخذت سفنهم تمخر عباب المحيط شرقاً وغرباً، حتى وصل الإسبان إلى أمريكا، ودار البرتغال حول أفريقيا والجزيرة العربية وصولاً إلى الهند، ثم تبعتهم بعد ذلك أوروبا من شمالها البارد في الدانمارك والسويد إلى جنوبها المتاخم لبلاد العرب، ومن غربها في بريطانيا إلى أقصى الشرق في روسيا مروراً بفرنسا وإيطاليا، ولم يكن التوسع الأوروبي في بلاد الشرق بمنزلة التقدّم الحضاري أو التجاري فحسب، بل كان مع ذلك محاولة للحد من نفوذ القوى الإسلامية وتأثيرها في الشرق والغرب.[14]

---

[10] **إمبراطوريات الرياح الموسمية**، ريتشارد هول، ترجمة: كامل يوسف حسين، الطبعة الأولى، 1966م، طبعة مركز الأمارات للدراسات والبحوث، (279)، وينظر: مكة المكرمة بين الحقيقة والادعاء في نصوص ثلاثة رحالة أوربيين، د. عواطف محمد نواب، بحث مقدم لندوة مكة عاصمة الثقافة، عام:1426هـ، طبعة جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، (149/2).

[11] ينظر: **إمبراطوريات الرياح الموسمية**، ريتشارد هول، (178).

[12] ASIA AND WESTERN DOMINANCE, K. M. PANIKKAR,FIRST PUBLISHED IN 1953, p 49.

[13] **المستشرقون، نجيب العقيقي**، (51-52/1).

[14] ينظر: **مكة المكرمة في عيون غير المسلمين**، أ. د محمد السرياني، معراج النواب، (11-21).

من أشهر الرحالة إلى مكة المكرمة في المدرسة البرتغالية: الرحالة "لودوفيكو فارتيما" : (LudovicoBartema) :[15] " الحاج يونس" رحلته عام: (908هـ/ 1503م):

يتفق المؤرخون الأوروبيون على أن أول أوروبي زار مكة المكرمة ودوّن رحلته عنها هو "لودفيكو فارتيما" المغامر الإيطالي.

ويعد "فارتيما" منتمياً إلى المدرسة البرتغالية بالفكرة والتمويل، وإن كان إيطالي المولد، فلم يكن فيه من إيطاليا إلاَّ اللسان والمولد، فقد عمل لصالح البرتغال في مرحلتهم التوسعية الاستعمارية للبلاد الإسلامية، وقام ملك البرتغال بتمويل رحلته للتحقق من إمكانية الذهاب إلى الهند مروراً بالبحر الأحمر، وقدم له نائبه في الهند براءة الامتياز والفروسية، وضمه أحياناً إلى جيوشه المحاربة هناك.

ولم أجد رحالة في المدرسة البرتغالية غير "فارتيما"، ولعل قصر عمر التمدد البرتغالي الاستعماري له أثر في ذلك.

وما يُعرف عن "فارتيما" هو ما ذكره عن نفسه في رحلته إلى مكة، بأنه ولد في بولونا من أب كان يعمل طبيباً، وأنه متزوج وأب. غادر "فارتيما" البندقية في ديسمبر 1502م- 908هـ، متوجهاً إلى الإسكندرية، ثم زار القاهرة، وبيروت، وطرابلس، وأنطاكية، وساحل اللاذقية، فحلب إلى أن وصل إلى دمشق المدينة الزاخرة بطيباتٍ من الرمان، والزيتون، وأنواعٍ من الفواكه الطيّبة -كما وصفها "فارتيما"-.

وفي دمشق- أيضاً- تعلّم العربية لبضعة أشهر، وتعرّف على القائد المملوكي للقافلة الشامية المتوجهة إلى مكة المكرمة للحج، فانضم معهم، كما وصف في رحلته الطريق إلى مكة مروراً بالمدينة المنورة التي دخلها ووصف أهلها، ومسجدها، وقبر النبي ﷺ، وحين دخوله لمكة وصف حالتها السياسية في وقت نزوله، وما كان فيها من الاقتتال بين أشرافها، ووصف مدينة مكة بأنها: "مدينة رائعة الجمال، قد أُحسن بناؤها"[16].

ثم استرسل في وصف موقع مكة الجغرافي، وتضاريسها، والحديث عن حاكمها في وقته، كما ذكر الأحوال المعيشية لأهل مكة، وحاجتهم إلى الماء، ووصف البضائع التي تصل إلى مكة، ومصادرها، مع ذكر لأحوال المسلمين، وشعائر عبادتهم في مكة من الصلاة في الحرم، وأداء مشاعر الحج والعمرة.

وقد وصف المسجد الحرام الذي دخله بقوله "ففي وسط مكة يوجد معبد جميل جداً يشبه الكولوزيوم في روما، إلاَّ أنه غير مبني بالحجارة الضخام، وإنما من الطوب الأحمر، وله تسعون أو مائة باب، ذات أقواس، وكل شيء حتى الجدران مغطاة بالذهب"[17].

---

15 ينظر: **رحلة فارتيما**، ترجمة: عبدالرحمن الشيخ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب،1994م، (28-53)، وينظر: **مكة المكرمة في عيون رحالة النصارى**، (83-89)، **واكتشاف الجزيرة العربية**، جاكلين بيرين، (37). **والرحالة الغربيون في الجزيرة العربية**، د. روبن بدول، ترجمة د. عبد الله نصيف، (23)، وقافلة الحبر، (16). **وأوروبيون في الحرمين الشريفين**، عرفة عبده، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 2014م، (36).

16 **رحلة فارتيما**، (51).

17 **المصدر نفسه**، (53).

وقد أبعد عن الدقة والتحقيق في ذلك وخالف الرحالة الذين تلوه بل وعلماء مكة الذين عدوها بثلاثة وعشرين باباً، أما جدران المسجد المغطاة بالذهب فلا وجود لها. [18]

كما أفاض في وصف مشاعر الحج، وما حدث فيها مثل وصفه لتوجه الناس إلى منى وعرفة، وقيام الخطيب فيها والذي أثار مشاعر الناس الطالبين من الله العفو والرحمة، كما تحدّث عن شعيرة الأضاحي، والهدي، ورمي الجمار، وتحدّث عن حَمَام مكة، وعن اثنين من حيوان وحيد القرن الذين رآهما في موضع مسور بأحد جوانب المسجد الحرام، أهداهما ملك الحبشة إلى شريف مكة باعتبارهما أطرف وأجمل ما في العالم .

وقد سرد في رحلته بعض الأخبار ووصف القرى التي جاوزها وأهلها، بنوع من الغرابة، لم يستطع إقناع الأجيال التي صادفت من الأسرار والأعاجيب أقل مما روى.[19]

فيذكر أن من هاجموه من البدو لمنع قافلتهم من شرب الماء من أحد الآبار على طريقهم إلا بثمن كان عددهم أربعة وعشرون ألف بدوي، وهو رقم مبالغ فيه، كما أنه لم يستخدم أي أداة للإحصاء، ثم يذكر أن خسارتهم في مواجهة ذلك الجمع رجل واحد وامرأة واحدة في مقابل قتل ألف وستمائة من البدو.

ومما تميزت به رحلة "فارتيما" اهتمامه بالمعلومات التي يهتم بها القارئ لنقلها، فيهتم بذكر عدد البيوت بالمدن ومساجدها، والأحداث البارزة في تاريخها، ومنتوجات تلك البلاد التي يراها في الأسواق، وازياء وملابس أهلها وعاداتهم، في نسق روائي.[20]

ويبقى أن "فارتيما" رغم كل ما قاسى من ضروب العذاب في رحلته، قد حاز قصب السبق بتدوين معلومات عن مكة والحج، وكشف أسرارها للغربيين، "فمؤلفاته لم تخل من براعة الوصف فوجدت ذيوعاً كبيراً، وأصبحت معيناً لمن تلوه، ولاسيما أنها عاصرت الدوي الهائل الذي أحدثه نجاح رحلة فاسكودي جاما في الأوساط الملاحية والتجارية والعلمية"[21].

أهم سمات الرحلة في المدرسة البرتغالية:

تتميز المدرسة البرتغالية بسمات عديدة سبقت فيها العديد، كما أنها اصطبغت بصبغة خاصة بها، ولعلَّ ذلك يظهر لنا في النقاط الآتية:

---

18 ينظر: **مختصر تاريخ مكة المشرفة**، للعلامة تقي الدين يحي محمد الكرماني، طبعة الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، الطبعة الأولى، 1437هـ، (310).

19 ينظر: **بلاد العرب القاصية**، بيتر برينث، (57).

20 ينظر: **اكتشاف الجزيرة العربية**، جاكلين بيرين، (39)، (53).

21 **الرحلات والكشوف الأثرية للعصر الحديث في شبه الجزيرة العربية**، أ.د. عبد العزيز الصالح، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية تصدر عن جامعة الكويت، الطبعة الأولى،1981م، (16). وينظر: مقدمة الأستاذ حمد الجاسر لكتاب اكتشاف الجزيرة العربية، جاكلين بيرين، (9).

– السبق في الوصول إلى مكة، وكتابة الرحلة عنها، ووصف الطريق البري إليها بشكلٍ مفصّل، وتدوين كل المشاهدات عن داخل مكة حتى وصل الرحالة إلى الكشف عن الحيوانات والطيور في مكة، وحال الباعة فيها، وعدد الهدي الذي ذبح فيها في موسم الحج ذلك العام ونحو ذلك، ممّا لم يكن للأوروبيين به معرفة ولا خبر يقين، "ففارتيما" يعتبر أوَّل أوروبي على اليقين دخل مكة، وتعرّف على أحوالها، وأوصافها. [22]

– كان "فارتيما" أوَّل أوروبي غير اسمه باسم إسلامي؛ للدخول إلى مكة باختياره، وادعى أنه مسلم، فقدّم نفسه لأهل الحجاز بأنه الحاج يونس، أو يونس المملوك المصري، وفي ذلك خداع ومكر للدخول إلى المدينة المقدّسة التي يُحرم على غير المسلمين دخولها كما يعلم "فارتيما".[23]

– الغرض والدافع من رحلة "فارتيما" إلى مكة وغيرها من البلاد الإسلامية كان ظاهراً و واضحاً، مع أن "فارتيما" حاول تجاهل ذلك في مكتوب رحلته، بإشارته إلى هدفٍ واحد دون ذكر غيره وهو حب المعرفة والرغبة في مشاهدة ممالك العالم المختلفة، ليحقق بذلك مديح الآخرين له، ورضاه عن ذاته بتدوين تلك الرحلة عن بلاد لا يعرف عنها أهل بلاده شيئاً، لكن ذلك على التحقيق لم يكن الهدف الوحيد من رحلته، كما تدلنا على ذلك سطور رحلته، والتي حاول فيها الكشف عن أحوال المسلمين، وتحصينات بلادهم، ومواردهم الاقتصادية والبيئية بشكلٍ غلب حتى على وصف البلاد، فذكر الحصون، والقلاع، والسور على المدن، والحديث عن عدد الجنود، والأقوات وطرقها من أظهر ما يكون في رحلة "فارتيما"، زيادةً على ما وهبه له حكام البرتغال بعد إتمام رحلته، مما يدل على أن المعرفة لم تكن الدافع اليتيم "لفارتيما". [24]

كما أن الظروف التي تمت فيها رحلة "فارتيما" إلى البلاد الإسلامية، والتوسع والاكتشافات التي قامت بها البرتغال في البحار والموانئ الإسلامية؛ يعطينا الدلالة الكبيرة لسبب رحلة "فارتيما"، وأسباب الجلد الذي تحلّى به في المواطن العديدة من رحلته، حتى عانى الجوع، والأسر، والذل، والخوف، " ففيما كان "فارتيما" يتعلم العربية في دمشق، كان فاسكو دي جاما من الجهة الجنوب يساير السواحل العربية" [25].

"إن الدراسة المعمقة للظروف والملابسات التي تمت بها الرحلات تلهمنا لمعرفة الأهداف الحقيقية لخوض تلك الرحلات التي يكتنفها الكثير من العناء، والاستعداد للهلاك والموت، حيث كان العديد من أولئك الرحالة هم رسل الاستعمار. وإذا كانت رحلة فاسكودي جاما، قد انتهت باكتشاف طريق الهند الذي كان يحتكره المسلمون، فإن مهمة "فارتيما" كانت الكشف عن عادات الشعوب الإسلامية، وما لديهم من القوّة

---

22 ينظر: **أوربيون في الحرمين الشريفين**، عرفة عبده علي، (23).

23 ينظر: **رحلات فارتيما**، (59).

24 ينظر: **المرجع السابق**، (31-23)

25 **اكتشاف الجزيرة العربية**، جاكلين بيرين، (47). وينظر: رحلات فارتيما، (69-61).

العسكرية، والاقتصادية، وحصر منتجاتهم الزراعية والصناعية ذات القيمة التجارية العالية"[26].

– المبالغة، وعدم الدقة وصفان متلازمان في رحلات "فارتيما"، حيث يبالغ في أعماله، وشجاعته في المواقف المتكرّرة، كما يصف تعلّق النساء به، وحبهنّ له، ولبياضه، والتعلّق السريع به، والبكاء عليه، وشغف نساء اليمن بالرجال البيض، حتى تعلّقت به زوجة السلطان، وكأن شغلها الشاغل أن تراقبه، وتنظر إليه في أحواله المتعدّدة، وهو في المقابل يصله كل ما تقوله عنه، وما تشعر به نحوه، كل ذلك أقرب إلى الخيال منه إلى الحقيقة.[27]

كما أن الدقة أخطأت "فارتيما" وهو يصف المواضع التي يمر عليها في طريقه إلى مكة المكرمة، ففي حديثه عن موضع سدوم وعاموراء وهو موضع هلاك قوم لوط حدّدها بأنها المنطقة القريبة من وادي عربة جنوب مدينة البتراء في عقبة الشامي. وهو خطأ ظاهر، فالمعروف أنها في منطقة البحر الميت، فوقع "فارتيما" في الوهم نتيجة تراثه الديني بأن ذلك موضع سدوم وعاموراء، بزعمه أن ذلك مذكور في الكتاب المقدس، كما جانب الحقيقة عندما ادعى وجود جبل يسكنه أربعة أو خمسة آلاف يهودي عراة، ويبلغ طول الواحد منهم خمسة أشبار، أو ستة أشبار، أصواتهم كأصوات النساء، وإذا ما وقع عليهم أحد من المسلمين سلخوه حيّاً. ولعل ذلك لما يحمله من الكره لليهود الذي كانت أوروبا تصطبغ به في ذلك العصر.[28]

كما أكثر من وصف شجاعته، وانتصاره على المهاجمين لقافلته، إذ يقول عن العرب البدو الذين هاجموهم: "فهم رغم كثرتهم إلاَّ أن انحطاط عقولهم جعلنا – مع أننا لا نزيد عن ستين مملوكاً– قادرين على مقاومة أربعين ألف بدوي، أو خمسين ألفاً!"[29]، وفي موضع آخر يذكر أنهم تواجهوا معهم "فلم يستطع البدو أن يقتلوا من قافلتنا إلاَّ رجلاً وامرأة، أمَّا نحن فقد قتلنا منهم 1600 شخص!" [30] .

– تعد رحلة "فارتيما" أوَّل رحلة يتبيّن فيها أوروبي أخلاق عرب الجزيرة، فيراهم ويتحدّث عنهم حديث المشاهد، على أن تلك المعرفة تعرضت للتشويه، والأوصاف غير الحميدة، حيث وصفهم بالعديد من الصفات السيئة، "وكانت الكلمة العالقة بشفتيه دائماً (قذر)، خيام البدو السود (قاسية وقذرة)، وهناك مذاهب كثيرة، وطوائف، وشقاق، (بين هذا الخط القذر من الرجال القذرين)، إنهم يتركون المدينة (راضين، أو بالأحرى ضجرين من قذارة الدعاة، وقرفهم، والخدع، والتفاهات، والنفاق)، وحتى مكة لم تسلم من "فارتيما"، إذ يقول: "ويجب أن تعرف أن غضب الله فيما أرى قد حل على مكة،

---

[26] ينظر: **مكة في عيون غير المسلمين**، اغسطس رالي، (15-17).

[27] ينظر: **رحلات فارتيما** (61)، و (71- 76).

[28] ينظر: **رحلات فارتيما** (38 – 42)، مع تعليقات المترجم.

[29] **المرجع السابق**، (37)

[30] **المرجع السابق**، (40).

فالمنطقة المحيطة بها لا تنبت عشباً، أو شجراً، ولا أي شيء!"[31]، في مظهر يعكس البعد عن النصفة، وسلوك طريق السخرية، والنظرة الدونية للمسلمين، وإطلاق الأحكام جزافاً دون تحرير.

– عدم الدقة في المعلومات التي يوردها عن معالم مكة، وكذلك الشعائر الإسلامية، فمما لا شك فيه أن "فارتيما" لم يصرح بالشهادة كما أورد ذلك عن نفسه، بل كانت نظرته عن المسلمين نظرة دونية، ومع تعلمه للعربية، والعيش بين المسلمين إلا أنه وقع في أخطاء عديدة، إمَّا بسبب اعتماده على موروثه النصراني، أو لجهله بالدين الإسلامي، ففي حديثه عن ماء زمزم يزعم "فارتيما" أن ثمانية من الرجال كانوا يصبون دلاء الماء على رؤوس الحجاج فيغسلونهم من رؤوسهم حتى أخمص أقدامهم، ويقولون أنهم بهذه الوسيلة يتخلصون في خطاياهم التي تبقى في هذا الموضع بعد الاستحمام. [32]

وهو خلاف ما دل عليه الحديث النبوي من أن ماء زمزم مبارك، وأن شربه شفاء وبركة، لكن لم ترد الأدلة على أن التبرك بالاغتسال به سبب للغفران من الذنوب ونحو ذلك، بل هي زيادة غير جائزة على ما شرعه الدين، وإن فعلها بعض المسلمين. [33]

كما أن ذكره لأوصاف المسجد الحرام اعتراه العديد من النقص الظاهر، سواء في الوصف أم العدد، مع عدم اهتمامه ببيان المسافات بين المواضع المهمة في مكة، فعند حديثه عن أبواب المسجد الحرام يذكر بأن له تسعون باباً، أو مائة باب، مع أن غيره من الرحالة المستشرقين قد عدوه بأقل من ذلك بكثير. [34]

كما أخطأ في وصف المسجد الحرام من داخله، حيث ادعى بأن أنحاء المسجد، وكل شيء فيه حتى الجدران مغطاة بالذهب، وهو ما لم يذكره رحالة آخر، إلاَّ إذا كان يقصد جدران الكعبة من الداخل.

وفي حديثه عن رمي الجمار يورد "فارتيما" قصة إبراهيم، وأنه أمر ابنه أن يتبعه إلاَّ أن الشيطان اعترض طريق إسحاق بن إبراهيم في صورة أحد أصدقائه، وأنه تناول حجراً قذف به وجه الشيطان عندما اعترضه ثانية، مع أن الرواية الإسلامية تذكر أن الابن الذي أمر الله إبراهيم بذبحه هو إسماعيل، وأن النبي الخليل إبراهيم هو من رمى الشيطان، ومثله ذكره عما رآه في المدينة أن داخل الحجرة قبر النبي ﷺ، وأبا بكر، وعثمان، وعمر، وفاطمة، وذلك خطأ تسبب فيه جهله، وعدم دقته وتحريه في معرفة الحق في الدين الإسلامي.[35]

وجمهور علماء المسلمين على أن المراد بتعيين الذبيح هو نبي الله إسماعيل – عليه السلام– فهو ابن إبراهيم الأكبر الذي كان في مكة، وهو الذي وصفه الله في كتابه العزيز بالصبر وأنه صادق الوعد، إلا أن أهل الكتاب يزعمون أن نبي الله الكريم إسحاق هو أكبر أبناء إبراهيم وهو قول باطل يخالف

---

31 **المرجع السابق**، (52).

32 ينظر: **رحلة فارتيما**، (55).

33 الشرح الممتع على زاد المستقنع، لفضيلة الشيخ: محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، 1425هـ، (348/7).

34 **رحلة فارتيما**، (53).

35 ينظر: **رحلات فارتيما**، (57–58).

الأدلة، كما يزعمون أنه هو الذبيح، وهو المخالف للأدلة الصحيحة في القرآن والتي تبين أن الذبيح هو نبي الله إسماعيل – عليهما السلام – وهو الذي انتقل إلى مكة المكرمة كما سيأتي معنا.[36]

إن رحلة "فارتيما" كما اشتملت على المعلومات الخاطئة وغير الدقيقة عن المسلمين، إلاَّ أنها كانت أوَّل رحلة يكشف فيها رحالة غربي عن أحوال المسلمين في مكة المكرمة، بلغة العين المبصرة، بعيداً عن الحكايات، والروايات، ويصف فيها طريقهم الشامي إلى الحج، والمدن التي يمرون عليها، ويبيّن لقومه الحقائق التي شهدها عن أحوال المسلمين، وحياتهم في أقدس وأشرف مدنهم، ويفتح الباب لرحلات عديدة جاءت بعده امتازت بالعديد من المميزات، لكن هدفها بأن المعرفة والعلم هما المحرك الوحيد لها لا زال غير واضح.

المبحث الثاني: المدرسة الاستشراقية الفرنسية في الرحلات إلى مكة المكرمة

نشأت الصلات بين فرنسا والبلاد الإسلامية الشرقية والغربية، فبدأ التواصل مع المسلمين في بلاد الأندلس الذين أشرفوا على جنوب فرنسا، واقتربوا من حدود باريس في مرحلة فتوحاتهم لبلاد الأندلس، ثم ما تلا ذلك من توجه الفرنسيين، وملوكهم لحروب المسلمين فيما عُرف بالحروب الصليبية على مراحلها المتعددة، مروراً بالحملة الفرنسية بقيادة نابليون على مصر، والاستيلاء على بلاد شمال أفريقيا الإسلامية، وانتهاءً بعصور الاستعمار، وعهد الانتداب لمصر، وبلاد الشام، وغيرها من بلاد المسلمين.[37]

ومع بدايات القرن السابع عشر الميلادي بدأ الاهتمام في فرنسا بترجمة الكتب العربية، وظهر المهتمين باللغة العربية، وعلومها.[38] ومنذ ذلك الوقت بدأت في فرنسا الصلات المتعدّدة والمتنوّعة بينها وبين البلاد الإسلامية في أحوالها المختلفة من الحرب، والسلم، والتحالف، والعداء، وتأسست في فرنسا كراسي اللغات المهتمة باللغة العربية، ودراسة ما يتعلق بالثقافة الإسلامية، "كما أدخلت فرنسا في عام 1957م على برامجها في التعليم الثانوي مواد جديدة عن الحضارات الكبرى، وتطور الشرق التاريخي، وأصاب العرب والإسلام منها حظ موفور"[39].

وكما سبقت أطماع البرتغاليين أوربا كلها في الوصول إلى الشرق، إلا أن أبرز المراحل الاستكشافية لمكة بدأت مع ازدياد المطامح الفرنسية في الشرق في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر.[40]

---

36 ينظر: **تفسير القرآن العظيم، للإمام أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير**، (27/7). وينظر: القول المبين في المتلول للجبين، د. عبد العزيز بن علي الحربي، الطبعة الأولى1437هـ، بدون ذكر الناشر، (6-7).

37 ينظر: **مختصر تاريخ الكنيسة**، اندرومار، مكتبة الإخوة، الطبعة الخامسة، 2008م، (236)، والمستشرقون، نجيب العقيقي (138/1).

38 ينظر: **تاريخ حركة الاستشراق**، يوهان فوك، (77-79).

39 **المستشرقون**، نجيب العقيقي (141/1).

40 ينظر: **قافلة الحبر**، سمير عطا الله، (50).

ففي الرحلات إلى مكة تميزت فرنسا بأنها من أوائل الدول الاستعمارية التي وصل الكثير من رحالتها إلى مكة وقدموا وصفاً شاملاً لها، وإن كانت بداية أولئك الرحالة شأنهم كشأن الأوائل في المدرسة الإنجليزية رحالة المصادفة، لكن الرحالة الرواد والمتميزين تبعوهم بعد ذلك. [41]

أهم الرحلات إلى مكة المكرمة في المدرسة الفرنسية:

الرحالة: "فينسينت لو بلانك" (Vincent Le Blanc) [42]**: رحلته عام:(968هـ /1568م):**

"فينسنت لو بلانك"، ولد في مرسيليا عام 1554م، أحب الرحلة إلى الشرق واكتشافه، وقد كانت معرفته بالرحلة إلى الشرق بدأت من صغره وهو يشاهد السفن ترسو على شواطئ مدينته قادمةً أو مسافرةً إلى الشرق الغامض عند فينسنت مما زاده تعلقاً بالرحلة إليه، ولما كان والده شريكاً في سفينة تتاجر مع الشرق، فقد استطاع بذلك الرحلة عليها، وهو في الرابعة عشرة من عمره، ومن غير علم والديه اللذان كانا سيمنعانه حذراً وخوفاً عليه.[43]

يقول "بلانك" في مقدمة رحلته: "أنه منذ طفولته شعر بدوافع جامحة، لا تقاوم للأسفار، وبدون تمعن في الأسباب والعواقب، وكرجل محروم وبائس ألقى بنفسه إلى الأسفار بعد أن وجد أن الحياة نفسها لا تعدو كونها رحلة مستمرة حتى النهاية"[44].

وفي رحلته التي زار فيها القاهرة، وقضى فيها ثمانية أشهر، عاد بعدها مع سفينته إلى مرسيليا غير أن السفينة توقفت في إحدى جزر البحر المتوسط بسبب عطلها ثم تحطمها بعد ذلك قرب شاطئ جنوة فغرق ركابها، وبقي بلانك في الماء لساعات طويلة حتى استطاع السباحة والنجاة مع قائد السفينة.

غادر "بلانك" جنوة متجهاً إلى القدس لزيارتها شكراً على نجاته، وبرفقته كاسيس قائد السفينة، والذي كان من سكان مرسيليا، فمر على جبال لبنان، فطرابلس، فعمّان حتى وصل حلب ودمشق التي وصفها بأنها أجمل المدن وأعظمها تجارة، ثم غادرها إلى مدينة مزيديب ،والتي تبعد عن دمشق ثلاثة أيام، والتقى بمراد شقيق صديقه كاسيس وأضافهما في منزله، وكانت الرغبة لدى مراد بالسفر إلى مكة لتعويض خسائره التجارية ببيع ما عنده من البضائع، وكان يغري أخاه بالسفر معه، وأنه سيعطيه شيئاً من أرباحه، وعرض على "لوبلاك" السفر معهم والذي لم يكن أمامه إلاَّ الموافقة على الرحلة؛ لجهله بالأماكن مع صغر سنه.

التحق الثلاثة بقافلة الحج التي غادرت دمشق، والمكونة من عشرين ألف جمل محملة بشتّى البضائع، وبعد خمسة وأربعين يوماً من رحلة متواصلة ومخيفة وصلت القافلة إلى المدينة المنورة.

وبعد زيارته للمدينة، ومشاهداته لمسجدها، وقبر النبي ﷺ رحل إلى مكة، واستغرق الوصول إليها

---

41 ينظر: **اكتشاف الجزيرة العربية**، جاكلين بيرين، (55).

42 ينظر: **مكة في عيون رحالة نصارى**، **اغسطس رالي**، (93)، **والرحلات المحرمة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة**، لأحمد محمد محمود، مطبعة المحمودية، الطبعة الأولى، 1430هـ، (22)

43 ينظر: **الرحلات المحرمة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة**، لأحمد محمد محمود، (22).

44 **الرحلات المحرمة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة**، لأحمد محمد محمود، (22).

يومين، وقد وجد مكة كبيرة جداً، ومساحتها ضعف مساحة مرسيليا، وتحيط بها تلال عالية جداً؛ مما يجعل الدخول إليها صعباً، وتتوفر فيها الكثير من البضائع القادمة من الهند، ومصر، وأوروبا، وتباع أغلى منتجات الهند في داخل أروقة المسجد الحرام والكعبة المشرفة، ويصف المسجد الحرام: "حيث يقف الحجاج للعبادة في المسجد الحرام وهم بملابس الإحرام، متوجهين في عبادتهم بتواضع جم، ومنهم من يصوم نهاره"[45]، ولم يذكر في رحلته أنه أدى شيئاً من تلك المشاعر، أو شارك المسلمين في شيء من ذلك، على أن كثيرين يميلون إلى أن رحلة "بلانك" إلى مكة محض خياله.[46]

الرحالة علي باديا ليبليخ العباسي[47] (**Badia Leblich**):" **علي باي العباسي": رحلته عام: (1222هـ /1806م):**

يُعرف "باديا" بلقبه الذي نقشه لنفسه (علي باي العباسي)، وهو أشهر أوروبي زار مكة المكرمة بعد الإيطالي "لودفيكودي فارتيما" سنة 1502م، والإنجليزي "جوزيف بيتس" سنة 1680م.

ولد "ليبليخ" في عام (1766م- 1180هـ) بضاحية بيسكاي بمدينة برشلونة، وسهلت ولادته بأسبانيا أفضليته على غيره من الرحالة في سهولة تعلمه للعربية خاصة أصواتها الحلقية، وتلقى تعليمه بجامعة بلنسية، ودرس الرياضيات، وعلوم الفيزياء، والجغرافيا، والفلك، وعلم المعادن، وأجاد من اللغات الفرنسية، والإنجليزية، والإيطالية، والعربية.

وفي عام 1801م زار باديا باريس، ولندن ثم عاد إلى إسبانيا بلباس إسلامي، وبعد سنتين غادر إلى طنجة في مهمة سرية، يتبين من خلالها أنه كان عميلاً لملك إسبانيا، أو لنابليون الذي كانت أحلامه تتطلع بشغف إلى إمبراطورية في الشرق، فقد ظهرت خدمته للإمبراطور الفرنسي نابليون، ثم من جاء بعده مما يجعله في المدرسة الفرنسية ولاءً وتمويلاً.

وفي طنجة نشأت بينه وبين ملك المغرب صداقة وتبادل للهدايا، وأصبح شخصية مهمة، وبدأ بعد ذلك رحلته إلى مكة فأبحر إلى طرابلس ومنها إلى الإسكندرية، وعانى "علي باي" من دوار البحر، لكن عندما مرت السفينة بصعوبات سمح لنفسه أن يؤخذ إلى سطح السفينة؛ ليحدد خطوط الطول والعرض حتى يصل إلى الإسكندرية، وبعد وصوله لمصر اتصل بكل الأعيان بمن فيهم واليها محمد علي باشا والذي لم يرغب في استقباله، كما رأى الخياطين يشتغلون بالكسوة الجديدة للكعبة .

وعانى في رحلته من السويس إلى جدة الأمواج والعناء من دوار البحر، وكان مظهر الغنى ظاهراً في تواصله مع أعيان كل بلد يزوره، وبما يملكه من خدم يضعون سجادته المخصصة للصلاة خلف

---

45 **مكة في عيون رحالة النصارى**، أغسطس رالي، (93).

46 ينظر: **المصدر نفسه**، اغسطس رالي، (93)، وينظر: ارتياد الجزيرة العربية، دافيد جورج هوجرث، (113).

47 ينظر: : **المصدر نفسه** ، اغسطس رالي (105- 118)، **الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية**، د. روبن بدول، (34-29). وأوروبيون في الحرمين الشريفين، عرفة عبده علي، (65- 66).

سجادة الإمام مباشرة.[48]

وانتقل بعد وصوله جدة أن لبس الإحرام متوجهاً إلى مكة، والتي دخل حرمها من باب السلام محمولاً نتيجة لمرضه بالحمى، ولما دخل ساحة المسجد أشار إليه المرشد أن يتوقف، وأشار بإصبعه إلى الكعبة وهو يقول: انظر.. انظر بيت الله الحرام، مما أصاب "باديا" بالتأثر والخشوع، فيقول: "بيت الله مغطى بثوب أسود من أعلاه إلى أسفله، ومحاط بحلقة من المصابيح، والساعة غير مألوفة، وسكون الليل، ومرشدنا الذي كان يتحدّث أمامنا وكأنه ملهم، كونت هذه المشاهدات كلها صورة لن تمحى من ذاكرتي"[49].

أُعد له منزل قريب من المسجد الحرام بمحاذاة منزل شريف مكة، وتواصل مع شريف مكة الذي دعاه إلى درس ديني، وسأله عن موطنه الأصلي فأجاب بأنه من مدينة حلب، فظهرت علامات الرضا على الشريف، ثم عين موظفاً له؛ ليرافق "علي باي" في تجواله أثناء إقامته بمكة، وشرّفه شريف مكة بأن نال مساعدته في تنظيف الكعبة، فصعد الدرج وشاركه في كنس أرض الكعبة المكسوة بالمرو، وتلقى "باديا" التهاني إثر انتهائه من ذلك، فهو أول رحالة غربي يُعرف عنه الدخول لجوف الكعبة. [50]

وفي حديثه عن مكة يصفها وكأنها مدينة يتناقص سكانها بشكل ثابت، فبعد أن كانوا مائة ألف في زمن الخلفاء العظام الراشدين تناقصوا إلى ألف وستمائة، أو ألف وثمانمائة، أمَّا شوارعها فكانت جميلة، وبيوتها مبنية بشكل جيّد، وكان ثلثها حديثة البناء، ولا أثر للفنون والعلوم فيها.

ويرى باديا أن وقت النشاط والرزق، وتوافد الناس على مكة هو في موسم الحج فقط، أمَّا ما سواه فالمدينة تعتبر كمدينة أموات.

كما يرى "علي باي" أن مكة كانت بعيدة عن آثار الحضارة والثورة التي أصابت المناطق المختلفة في العالم؛ والسبب في ذلك يعود لبُعدها الجغرافي، وانعزالها، فالجزيرة العربية تحيط بها المياه من ثلاث جهات، ومكة بعد ذلك غائرة بين كثبان الرمال.

والحق الذي لم يقله الرحالة أن أحسن الأوصاف يصدق على مكة أنها وادٍ غير ذي زرع كما وصفها بذلك نبي الله إبراهيم، وأن بعدها وانعزالها عن البحر حفظها عن أعلام الغازين من الأوروبيين وغيرهم، كما أبقى على جمالها بحفظ شعائر الإسلام، فهي موطنه الأولى الذي بدأ منها غريباً، وسيعود إليها.

كما وصف "باديا" مشاعر المسلمين؛ في يوم عرفة، وأيام منى، فقال: "ففي عرفات يتمكن المرء من تكوين فكرة عن المشهد المهيب الذي يمثله الحج، إذ تتقاطر حشود لا تحصى من الناس من كل الأمم والألوان، من شتّى أصقاع الأرض، على الرغم من آلاف الأخطار والمشاق التي لا حصر لها؛ ليعبدوا جميعاً إلهاً واحداً، يمد القوقازي يده الحميمة للحبشي أو الزنجي الغيني، ويتآخى الهندي

---

48 ينظر: **بلاد العرب القاصية**، بيتر برينث، (99).

49 ينظر: **مكة في عيون رحالة نصارى**، اغسطس رالي، (110).

50 ينظر: **بلاد العرب القاصية**، بيتر برينث، (101-100).

والفارسي مع بربر المغرب، فالجميع يدعون أنفسهم أفراد عائلة واحدة"[51].

وفي وقت دخول "علي باي" لمكة المكرمة كان السعوديون قد ضموها إلى دولتهم الفتية، وقد رأى منهم ما أثار إعجابه، من صدقهم، وزهدهم، وعدلهم، ومحاربة البدع، مع اعترافه بانطباعه الأوَّل عنهم بأنهم قساة.

عاد "علي باي" بعد رحلاته مناصراً لنابليون، وتولى منصباً تحت قيادة شقيقه جوزيف، وبقي في فرنسا، ونشر وقائع أسفاره التي حافظ فيها على ادعائه بأنه مسلم.

الرحالة: "موريس تاميزيه":(W.Tamisier) :[52] رحلته عام: (1249هـ /1834م):

الرحالة الفرنسي "موريس تاميزيه"، عاش حياته في القاهرة، وحين أتم الحادية والعشرين، تطلع للرحلة إلى جزيرة العرب واكتشافها، وتم ذلك بمشاركته في حملة أحمد باشا التي أعدها محمد علي باشا؛ لإخضاع عسير التي تمردت على حكم الأتراك عام 1833م.

تنقل "تاميزيه" بين القنفذة وجدة التي أطال فيها المكث، وزار مكة، ودوَّن كل ما جرى له على هيئة يوميات تحوي كل ما رأى ما سمع، بل وما شعر به في تلك الأماكن.

أثنى "تاميزيه" على دقة ما دوَّن "بوركهات" عن مكة، وشرع يصف ما يتعلق ببناء الحرم، وعدد أبوابه، وأنها ستة عشر، ووصف الكعبة بأن سقفها يستند على ثلاثة أعمدة من الفضة الخالصة، وهو تفرد منه ليس بصواب وربما اشتبه عليه أن بعضها ملبس بشيء من الذهب أو الفضة.

كما وصف"تاميزيه" المنبر الخاص بالخطيب للحرم والواعظ عليه يوم الخميس، وذكر مشاهدته لمقامات المذاهب الأربعة في الحرم، ثم أكثر من سرد القصص والأخبار عن مكة، وتاريخها، والمشاهد فيها، والتي تفتقد إلى الدقة. ثم تحدّث عن أهل مكة، وأن عددهم يقرب من عشرة آلاف، وأن ماء زمزم هو المصدر للمياة الصالحة للشرب لديهم، وأن انشغالهم بالتجارة؛ نظراً لطبيعة مدينتهم غير الزراعية، ولأنها تعتبر مركزاً للتبادلات التجارية المكثفة خصوصاً في فترة الحج.

أكثر "تاميزيه" في رحلته من ذكر تاريخ مكة، وحياة النبي محمد ﷺ، وسرد القصص عن مشاهدها، وآثارها، ربما بما سمعه من العرب، أو ما قرأه عن الرحالة، لكن تفصيله الذي ذكره عن جده وأهلها لم تحظَ به مكة.

الرحالة ليون روش (Leon Roches): [53] **"حاج عمر بن عبد الله": رحلته: عام (1257هـ /1841–**

---

[51] **رحالة إسباني في الجزيرة العربية**، رحلة دمنجو باديا، ترجمة: د. صالح بن محمد السنيدي، دارة الملك عبد العزيز، 1429هـ، (164). وينظر: **مكة في عيون رحالة نصارى**، أغسطس رالي، (113).

[52] ينظر: **رحلة في بلاد العرب، الحجاز**، موريس تاميزيه، دار بلاد العرب، 1421هـ، ترجمة: د. محمد آل زلفة، دار العرب 1423هـ، (188- 215)، وأوربيون في الحرمين الشريفين، عرفة عبده علي (86- 294). وينظر: الرحلات والكشوف الأثرية للعصر الحديث في شبه الجزيرة العربية، أ.د. عبد العزيز الصالح، (32).

1842م):

ولد "روش" في مدينة جرينوبل **Grenoble** في الجنوب الشرقي الفرنسي عام 1809م، ماتت والدته حينما كان طفلاً فقضى طفولته مع إحدى عماته التي كانت بمثابة الأم له، فنال منها العاطفة، وبقيت محط أحزانه وأفراحه، هاجر والده إلى الجزائر حيث استثمر نقوده في شراء أرض عمل مزارع عليها، لكن الثراء لم يكن من نصيبه فتحمل الكثير من الديون.

لم يكمل "روش" الدراسات القانونية التي بدأها في فرنسا، فانتقل إلى الجزائر ليكون برفقة والده فعانى مرارة فراق فرنسا والتي طال حنينه لها، ونظراً لمعنوياته المتدنية، وعدم راحته للبقاء في الجزائر أُرسل للعلاج إلى سيدة مغربية والتي كانت أرملة الحاكم السابق للجزائر، وعندها رأى فتاة جميلة في الرابعة عشرة، تعلّق بها تعلّقاً شديداً كما أظهر ذلك في الكثير من المواطن في رحلته، ورغب في القرب منها رغم أنها تزوجت بعد ذلك بأحد رجال الجزائر، ودخلت في المنطقة التي يحكمها القائد الجزائري الأمير عبدالقادر، والذي كانت بينه وبين الفرنسيين حروب ومواجهات، إلا أنه طمع في أن يقترب من عبدالقادر ويعلن إسلامه، لعله يطلق له محبوبته من زوجها، فتكون زوجة له، وحدثت له مع الأمير عبدالقادر مواقف عديدة أظهر فيها الإسلام والطاعة للأمير، لكن حين عادت الحرب بين عبدالقادر والفرنسيين من جديد رجع إلى قومه، الذين لم يثقوا بارتداده عن دين الإسلام، "فيمكننا أن نصور الفرنسي الشاب مقداماً في الحرب، جسوراً في الحب "[54].

تعلم "روش" العربية، وبرع فيها حتى كان مترجماً فورياً من الدرجة الممتازة في الجيش الفرنسي في الجزائر، وفي أثناء إقامته اعتقد "روش" أنه في حال احترام المحتلين لدين السكان فلا داعي لتوقع عواقب وخيمة بل يمكن أن يتم التعايش الكامل بينهما، وأيّد رأيه العالم الصوفي التيجاني والذي يقود طائفة من مسلمي الجزائر، وأضاف التيجاني أنه لإقناع العرب بذلك لا بُدَّ من استصدار فتوى موقعة من علماء المسلمين، ومن هنا بدأت فكرة "ليون روش" بالسفر إلى مكة ليوقع فتواه من علماء مكة.

صادق الجنرال الفرنسي على الجزائر على الخطة، وأوكل إلى "روش" تنفيذها، فبدأ من جامع عتبة بالقيروان، ثم الأزهر حتى وصل إلى مكة وعلمائها الذين اجتمعوا في الطائف، ووقع الفتوى عنهم على- حد زعمه-، وساعده في ذلك حسن استقبال الوالي الذي خصه به، واتصاله مع علية القوم ممّا زاده ثقة بنجاح مهمته، وبدت رحلة مكة لمعنوياته المنتعشة وسيلة لنفض غبار أعباء الحياة عنه أكثر ممّا هي تجربة مثيرة للاهتمام.

وصل "روش" ينبع في رمضان سنة (1257هـ- 1841م) واتجه بعدها إلى مكة المكرمة في اليوم السابع من ذي القعدة، وعند دخوله لمكة تقدّم إلى المسجد الحرام، وأدّى الطواف، ورأى تعلّق

---

53 ينظر: **اثنتان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام**، ليون روش، (85-172). وينظر: مكة في عيون رحالة نصارى، أغسطس رالي، (165-190).

54 **مكة في عيون رحالة نصارى**، أغسطس رالي، (168).

الحجاج بالكعبة وكيف يلصق بعضهم صدورهم بالكعبة بين بابها والحجر الأسود رافعين أيديهم يسألون الله غفران الذنوب، ثم تلا الطواف شرب ماء زمزم، فالسعي بين الصفا والمروة، حتى أتم عمرته.

مكث "روش" أسبوعين بمكة دخل في أثنائها للكعبة المشرفة، ورأى الناس والباعة حوله الحرم، كما وجه رسالة التعريف به من القنصل الفرنسي بجدة إلى شريف مكة الذي كان مقيماً في الطائف، وانتظر حتى وصول رد الشريف في السابع عشر من ذي القعدة، وفي تلك المدة التي زار فيها شريف مكة عقد علماء مكة، والمدينة، ودمشق، وبغداد اجتماعاً في الطائف، وأثيرت قضية الفتوى التي حملها "روش" فعارض أحد الأعضاء الفتوى بغضب شديد لكنه أُستبعد، ووقعت الوثيقة وخُتمت، ثم سُلمت "لروش". وهو في ذلك لا يذكر اسم أحد من العلماء ممن وافقه أو عارضه في مكة، وإنما يسوقها بادعاء عام، مما يشككك في صدق رسالته وفتواه.

عاد "روش" لمكة بعد ذلك ليجدها امتلأت بآلاف الحجاج الذين وصلوا لأداء الحج، وفوجئ بتعدّد أجناسهم، ولغاتهم، وملامحهم.

وصف "روش" مشاعر الحج، وقوافل الحجيج التي توجهت لعرفة، وما شاهده من تضرعاتهم، وابتهالاتهم، وأدعيتهم.

وفي عرفة قابل حاجين جزائريين عرفهما من قبل، فقد كان بصفته مترجماً سبباً في إيداعهما السجن لمدة سنة ممّا جعلهما يتعرفان عليه، وينادون الناس بأن نصرانياً يقيم بينهم، فشق الزنوج الأقوياء طريقهم إليه ليقبضوا عليه بأمر من الشريف الذي جعل الأمر كحيلة لإنقاذه من العامة، حتى نقلوه فيما بعد إلى جدة، ومنها توجه إلى أوروبا، ثم الجزائر، وقد نُشرت الفتوى في الجزائر موقعة عن علماء مكة الذين تواصل معهم "روش".

الرحالة "جيرفاس كورتيلمون"(Gervais Courtellemont)[55]: **"حاج عبد الله بن البشير"**: رحلته عام :(**1311 هـ/1894م**):

ولد "جيل – جرفيه كوتلمون" في أفون عام: 1863م، وهو الولد الوحيد لأبويه لويس فكتور جرفيه، وكان أبوه ميسور الحال، أما أمه فكانت ربة منزل، وكان لهذه العائلة صديق اسمه لويس ألفونس كوتلمون يعمل ضابطاً في الجيش الفرنسي، وله ابن يعمل في سلك الجندية في الجزائر مع الجيش الفرنسي، وحين مات والد جيل سنة 1868م تزوج ابن صديق الأسرة أرملة جرفيه والدة جيل وانتقل معه للجزائر.

تلقى جل دراسته في الجزائر العاصمة، ودرس التلغراف، وتلقى فيه تعليماً جيداً، وكان شغوفاً بحب الاستطلاع، والتعرف على الإسلام، وثقافة العرب الذي يعيش في أوساطهم.

وكان الشرق في نظر "كورتلمون" سراً جميلاً يحتاج إلى اكتشاف، وكانت مكة بعيدة عن نظر

---

55 ينظر: **مكة في عيون رحالة نصارى**، أغسطس رالي، (262-275).

خياله، مُختفية بين سلاسل الجبال والهضاب الرملية، وكانت له رغبة جامحة في زيارتها واكتشافها.

وفي عام 1890م التقى "كورتلمون" بأحد المسلمين ممّن زار مكة كثيراً ورغب في أن يصحبه معه؛ لما علمه من حبه الصادق للمسلمين، فتقدم بطلب إلى وزارة التعليم العام للموافقة الرسمية على رحلة علمية، لكن طلبه رُفض؛ نظراً لخطورة الرحلة، لكنها زودته بجواز سفر باسم عربي، وشجعته على رحلته، كما أوكلت إليه مهمة خاصة من الحكومة لم يقدر على البوح بها، ولعلها من نوع التعرف على أحوال الحجاز، وأهله، وكل ما يعين المستعمرين، وقد بوأه إنجازها بشكلٍ مرض منصب فارس نبيل في فيلق الشرف.

وفي خريف عام 1894م انطلق "كورتلمون" مع رفيقه المسلم أوكلي من مدينة الجزائر على سفينة تدعى (الجلوكاس) المتجهة مباشرة إلى جدة، والتي استغرقت عشرة أيام، وبعد وصوله إلى جدة كان مظهره يثير الشكوك بأنه غير مسلم لكنه استطاع اكتشاف بعض معالم مدينة جدة، وكان يحمل معه كاميرته.

انطلق "كورتلمون" برفقة كارلي من جدة محرمين إلى مكة المكرمة فدخل المسجد الحرام ليلاً، ويصف دخوله للمسجد بأن الكعبة شمخت أمامه، وبعد أداء الطواف، وتقبيل الحجر الأسود، والشرب من ماء زمزم، انتقل إلى مسكنه القريب من الحرم.

وفي فترة إقامته بمكة تسلق جبل أبي قبيس برفقة صاحبه المسلم واسمه عبد الواحد، وكان يخفي آلة تصويره فوتوغرافية بين السجادة، وهناك صور مكة عدّة صور بشكلٍ سريع حتى لا يطلع عليه أحد فيفهم بأنه جاسوس.

كان عدد سكان مكة في نظر "كورتلمون" مائة ألف نسمة، بنيت منازلهم من حجر متين مدعوم بالقضبان، ومزخرف بالمشربيات المتقنة الصنع من الخشب الهندي، وكانت الشوارع تلقى الرعاية الأهلية والإضاءة. زار "كورتلمون" العديد من معالم مكة مثل مقبرة المعلاة وغيرها، وبعد أن شعر "كورتلمون" بأنه تعرف على مكة، وأتم مهمته بدأ يشعر بالملل، فقرر العودة إلى جدة ومنها إلى بلاده.

ويزعم البعض بأن "كورتلمون" بعد رحلته أصبح مسلماً حقاً، كما يصف رحلته بأنها "أحلى شعور في حياته"[56].وعند عودته ألقى محاضرات في مدينة بوردو في الجنوب الغربي لفرنسا تحدث فيها عن رحلته، وكان من الحضور شخصيات مشهورة من أمثال "ليون روش".[57]

أهم سمات رحلات المدرسة الفرنسية:

- يعتبر الفرنسيون من أوائل من دخل مكة من الأوروبيين بعد "فارتيما"، كما أن رحلاتهم تواصلت ولم تنقطع حتى القرن العشرين، والتي ابتدأها "فينسنت لوبلانك" برحلته سنة 1568م.
- ظهرت في رحلات "لابلانك" عدم الدقة في نقل المعلومات عن الدين الإسلامي، والعديد من

---

56 **مكة في عيون رحالة نصارى**، أغسطس رالي، (274).

57 ينظر: : **المصدر نفسه** ، أغسطس رالي، (275).

الأخطاء التاريخية الواضحة.

– مع رحلات "لابلانك" و"ليون روش" بدأ الحديث عن الرحلات المزعومة المتخيلة إلى مكة، والتي شكك بعض الباحثين في حقيقتها.

– وبمقابل الفتى "لابلانك" الذي دخل مكة لأجل ألا يفارق الرجل الذي صحبه في السفر إلى الشرق، ولم يكن له أي غرض في مكة، نجد "علي باي العباسي" الواسع الثقافة واللغات، وكذلك "كورتلمون"، "وروش"، ممن لديهم من الثقافة والإلمام باللغة القدر الكبير، "فباديا" أوَّل من منح الأوروبيين تقريراً مفصّلاً عن طريقة التجارة في الحجاز، وأوَّل من وصف الأماكن والمواقع التي مر بها وصفاً طبوغرافياً دقيقاً، فحدّد موقع مكة عن طريق مراقبات فلكية، ورسم خريطة ذات مقاييس محدّدة للمسجد الحرام، وهذا ما يتميز به "باديا"، وأمَّا الباقون فقد اكتفوا بذكر معالم المسجد الحرام، والحديث عن التعداد التقريبي لسكان مكة. [58]

– كان للمدرسة الفرنسية قصب السبق في الاستفادة من علم الجغرافيا في الرحلات، وتحديد موقع مكة عبر الأرصاد الفلكية كما فعل ذلك الرحالة الشهير"علي باي العباسي".[59]

– أصاب الرحلات الفرنسية ما أصاب غيرها من اعتماد الرحالة على مشاهدتهم لمكة، وحديثهم عن الشعائر وفق نظرتهم لها، أو بسؤال عوام الناس عنها، من دون الاعتماد على علماء مكة، أو البحث عن الأدلة والمعلومات الصحيحة من مضانها.

– ظهر التباين في نظرتهم إلى الشعائر الإسلامية، فمع حسن وصفهم للكعبة المشرفة من أوَّل نظرة لها، إلاَّ أن الحديث عن الشعائر الإسلامية، وعبادات المسلمين لم تخلوا من النقد حتى وصل الحد إلى جعل تلك العبادات في الكفة الأخرى من الميزان مع عبادات النصارى، وفي ذلك يقول"روش": "وعندما نقارن غنى الأماكن المقدسة النصرانية وأهميتها بهذه الأماكن نجد أن هذه الأخيرة وعلى الرغم من كونها تعد الأكثر قداسة بالنسبة إلى العالم الإسلامي برمته تعم فيها الفوضى جميع فروع الإدارات الإسلامية؛ لأنه ما من شك أن إيمانهم راسخ كإيمان النصارى لكنه إيمان دون عمل"[60].

وهي ادعاءات ممن زار مكة لأيام، تضعف أمام ميزان المنهجية الصحيحة في الحكم على الثقافات والأديان وتأثيراتها، والذي يحتاج إلى المعرفة التامة بالدين الإسلامي، وثقافته، والعيش الطويل بين ظهراني المسلمين، مع التجرد والصدق، وهي شروط ابتعد عن امتلاك ناصيتها العديد من الرحالة.

– يتفق جميع الرحالة الفرنسيين إلى مكة على إخفاء أسمائهم، وادعاء إسلامهم مع تمييز بعضهم

---

58 ينظر: **اكتشاف الجزيرة العربية**، جاكلين بيرين، (68-69).

59 ينظر: **ارتياد الجزيرة العربية**، دافيد جورج هوجرث، (134).

60 **اثنان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام**، ليون روشيه، (112).

الكبير في التنكر "كعلي باي" الذي لم تزده مظاهر البذخ والادعاء بأنه أمير عباسي إلاَّ زيادة إخفاء لحقيقة دينه، واسمه، ومهمته، وكذلك كان الحال مع "لوبلانك"، ولعلَّ ذلك لصغر سنه أثناء دخوله مكة، فلم يلفت الأنظار إليه.

– تميّزت رحلات كل من "علي باي" و"روش" بأنها تزامنت مع حكم السعوديين في دولتهم الأولى للحجاز، فتحدّث "علي باي" عن عدلهم، وزهدهم، بينما كان حديث "روش" في نقدهم، واتهامهم بأنهم يطمعون في كنوز حرمي مكة والمدينة، وأنهم قتلوا عدداً من المسلمين الذين رفضوا اعتناق دعوتهم. [61]

– كما تميّزت رحلة "روش" بوصفها لعمال الحرم والقائمين عليه، ووصف أعمالهم، فذكر القائم على الحرم وأنه يُدعى نائب الحرم، وأن مفاتيح الكعبة تحفظ في عهدته، والرئيس الثاني يُدعى بآغا الطواشية[62]، وأن هناك خمسون شخصاً يقومون بحراسة الحرم، وإرشاد الناس في شعائرهم، كما أن "روش" يعد نفسه ثالث أوروبي دخل مكة، بعد "باديا" و"بوركهارت"، وهذا يصدق في طبيعة الرحالة الذي تميزوا بالمعرفة الواسعة عن الشرق.[63]

وفي الجانب الآخر يصف "كورتيلمون" حالة مكة الحضارية من تأخر دخول الطباعة إليها، وتراجع الصحافة فيها، كما تحدّث عن عادات المكيين في مطاعمهم، ومشاربهم. [64]

– كان وقت دخول الرحالة الفرنسيين في أيام الحج أو قبله بقليل، فأدركوا شعائره، ورأوا توافد المسلمين إلى مكة، باستثناء "كورتيلمون" الذي زارها في غير موسم الحج.

– بدأ الحديث مع بعض الرحالة الفرنسيين "كبلانك" و"ليون روش" عن الرحلات الخيالة التي يكتفي أصحابها بالنقل عن كتب من سبقهم، مع ذكر بعض القصص المتخيلة التي يدّعون وقوعها لهم في مكة أو في طريق سفرهم، لكن مع قلة معلومات رحلتهم، وعدم عمق الرحلة وغزارة مادتها، ومع تعدد المشاهد التي يراها كل رحالة، إضافة إلى أن بعض الرحالة يكتب رحلته بعد وصوله إلى بلده، مما يصعب الجزم بعدم صحة ادعائهم للرحلة إلى مكة والتي أصبحوا مشتهرين بها. [65]

المبحث الثالث: المدرسة الاستشراقية الألمانية في الرحلات إلى مكة المكرمة

كان للحملات الصليبية الأثر العسكري والديني على أوروبا، لكنها حملت معها أيضاً الأثر الثقافي بالتواصل المباشر مع الشرق، والتعرف عليه عن قرب، وتلك كانت بداية اتصال ألمانيا ببلاد

---

61 ينظر: **اكتشاف الجزيرة العربية**، جاكلين بيرين، طبعة مدبولي، (9-10).

62 الطواشي: **لقب عام للخصيان من الغلمان**، وهو مولد لم يوجد في كلام العرب ثم أصبح في عصر المماليك لقباً يطلق على جند الأمراء في المكاتبات إليهم بتوقيع أو نحوه (ينظر: تاج العروس، للزبيدي، (248/17). وينظر: الألقاب الإسلامية، د. حسن الباشا، الدار الفنية،1409هـ، (382).

63 ينظر: **رحلة ليون روش إلى الحجاز (1841م–1842م)**، د. بلقاسم سعدالله، ضمن بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية المنعقدة في الرياض في المدة من 24-27رجب1421هـ.، (256/1-257).

64 ينظر: **مكة في عيون رحالة نصارى**، أغسطس رالي، (270- 272).

65 ينظر: **اكتشاف الجزيرة العربية**، جاكلين بيرين، (70).

الإسلام وعلومها، ويقال أن الاتصال بين ألمانيا والعالم الإسلامي قد تمّ قبل ذلك بكثير في زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد حين أرسل إمبراطور ألمانيا له بعض الهدايا وتبادلا السفراء بين البلدين.[66]

وتتابع الاتصال بين الألمان والمسلمين بعد الثورة الدينية وظهور المذهب البروتستانتي، والحرص على تعلم العربية لما ستسهم به في التعرف على اللغة العبرية، مما يزيد من حظ فهم الكتاب المقدس، كما أدركوا أهمية الحضارة الإسلامية مع بعدهم الجغرافي عنها، فاتصلوا بالمراكز العلمية التي درست العلوم العربية، واللغة العربية في هولندا، وفرنسا، والنمسا، واهتمت بعض المطابع الألمانية بطباعة الكتب العربية وترجماتها، وصحب ذلك فيما بعد اتصال تجاري بين ألمانيا والعالم الإسلامي في عصر الدولة العثمانية.[67]

واهتمت ألمانيا بجمع المخطوطات العربية، وضمت مكتباتها العديد من نفائس الكتب، والمخطوطات، وتبع ذلك نشاط في تحقيقها، ونشرها، وفهرستها بعمل مميّز ومتقن.

وقد ازدهرت الدراسات الاستشراقية بعد الحرب العالمية الثانية، وتأسست في ألمانيا العديد من الجمعيات الشرقية الألمانية، مثل الجمعية الشرقية الألمانية، التي تأسست عام (1262هـ- 1845م)، واشتهر العديد من الرحالة الألمان والذين كانوا من أوائل من دخل مكة ووصفها بمنهجية علمية. [68]

ومع مطلع القرن العشرين بلغت الدراسات الاستشراقية ذروتها وأوج ازدهارها، مع شعور بثقة كبيرة بسبب توافر الكثير من الكتب القديمة التي قام العلماء الألمان بترجمتها أو اخراجها وتحقيقيها. [69]

وقد ظهر في المدرسة الألمانية رحالة اشتهروا بالكتابة الرصينة، والقدرة العلمية العالية لديهم، ومن أشهرهم ما يلي:

الرحالة: "يوهان وايلد" (Johann Wild) [70]**: رحلته عام :(1016هـ/ 1607م):**

هو أوَّل ألماني يصل إلى مكة المكرمة لكن ليس بصفته رحالة قاصداً الزيارة والارتحال، بل بصفته مملوكاً لسيده المسلم الذي قصد الحج وأخذه معه.

ولد "وايلد" في مدينة نوريمبيوج جنوب غرب ألمانيا في نحو عام 1585م، قام برحلة إلى المجر، وأحب الحياة العسكرية، وتطوّع في جيش الإمبراطور، وفي عمر التاسعة عشر شارك في الحرب ضد الأتراك، لكن بعد مدة قصيرة أسره المجريون المتحالفون مع الأتراك، وبيع بصفته رقيقاً.

كان سيده الأول مزود مؤن للجيش التركي، ثم ما لبث أن باعه لضابط في الجيش الإنكشاري التركي والذي قتل في أحد المواقع مع الألمان، وتنقل "وايلد" بين عدد من السادة إلى أن انتهى به الأمر

---

66 ينظر: **الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا**، د. ميشال جحا، (185).

67 ينظر: **الاستشراق، نجيب العقيقي، (2/340– 341)**. وينظر: تاريخ حركة الاستشراق، يوهان فوك، (55-56).

68 ينظر: **الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر**، د. عدنان وزان، (107- 109).

69 ينظر: **المستشرقون الألمان النشوء والتأثير والمصادر**، رضوان السيد، دار المدار الإسلامي، الطبعة الثانية 2016م، (31).

70 ينظر: **مكة في عيون رحالة نصارى**، أغسطس رالي، (94-98). وأوربيون في الحرمين الشريفين، عرفه عبده علي، (43-45).

أن بيع لرجل فارسي رافقه إلى مكة، تحدّث عنه "وايلد" بأنه عديم المبادئ والأخلاق.

سافر "وايلد" مع سيده إلى مكة ضمن القافلة المصرية، ورأى المعاناة في طريق الرحلة خصوصاً مع قلّة الماء حتى أنه كان أثمن ما يكون في مكة.

يذكر "وايلد" أن عدد القافلة التي سافر معها عشرون ألفاً، وعدد الجمال مائة ألف، وأنهم وصلوا إلى ينبع بعد حوالي عشرين يوماً من مغادرتهم للقاهرة، تعرضت قافلة وايلد للعديد من مضايقات البدو.

لبس "وايلد" الإحرام من ميقات الجحفة، وعانى من حر الشمس في النهار، وبرد الجو في الليل، ورأى الحجاج، وهم يرفعون أصواتهم دون توقف ملبين "لبيك اللهمَّ لبيك"، وكان سيد "وايلد" يعُد أخذ خادمه معه إلى مكة مِنَّة كبرى على "وايلد"، فالكثير من الأتراك يتمنون السفر إلى مكة ولا يستطيعون ذلك.

أثرَّ في "وايلد" مشاهد الحج، ومواكب الحجيج وهم يخرجون إلى عرفة في منظر مهيب، كما رأى بعض المظاهر التجارية حول الحرم كمحلات بيع العطور حول الحرم.

"إنيريك فريهيد فون ما لتزان"(Henrich Freiherr Von Maltzan)[71]: **(سيدي عبد الرحمن محمد السكيكدي): رحلته عام: (1276هـ/ 1860م):**

حين عاد "بيرتون" من حجه وهو لا يزال في تنكره بلبسه العربي عام 1853م قابل شاباً ألمانياً، وتحدّث معه في فندق شيبرد في القاهرة، ذلك الشاب كان "إنيريك مالتزن" الذي بدأت له فكرة الحج إلى مكة رحلة شيّقة، لكنه احتاج إلى سنوات؛ لإتقان اللغة العربية، واكتساب اللهجة المغربية.

ولد "فون مالتزن" قرب دريسدن شرق ألمانيا سنة 1826م، ودرس القانون في جامعة جينا بألمانيا، وعندما بلغ الخامسة والعشرين ورث أملاك أبيه، وأصبح بمقدوره أن يكون رحالة، ويزور أكثر بلاد الشرق.

تُعد خطة "مالتزن" للسفر إلى مكة مثيرة للاستغراب، ففي مدينة الجزائر قابل شاباً مغربياً مغرماً بالمخدرات (الحشيش)، واتفق معه أن يعطيه مقداراً من المال يكفي لانتشائه من المخدرات مدة ستة أشهر بشرط أن يعطيه جوازه واسمه، فوافق على ذلك.

ومنذ ذلك الحين بدأت أحداث رحلة "مالتزن"، فرحل إلى مصر وفيها تنكر بلبسه العربي المغربي، وتعرف على رجل مصري اسمه الشيخ مصطفى، كما تجنب "مالتزن" الإقامة مع الأوروبيين أو المغاربة، وفضّل أن يسكن في أحياءٍ يوجد فيها العديد من الجالية الأفغانية بمكة.

وصل "مالتزن" إلى مكة قُبيل الفجر في شهر رمضان، وهو يسمع تلبية الحجاج الذين معه بصوت عالٍ "لبيك اللهمَّ لبيك"، ورأى مظاهر خشوعهم، وتذللهم في المسجد الحرام، فيقول: "أطلق الجميع العنان لعواطفهم، وحماسهم بكل وسيلة متاحة في لحظة كهذه ينسى المسلم كل العالم من حوله بما في

---

71 ينظر: **مكة في عيون رحالة نصارى**، أغسطس رالي، (220-226).

ذلك أصحابه، إذ لا يفكر إلاَّ في الأشياء المقدسة"[72].

حرّك منظر الكعبة المشرفة، وجموع العُبّاد حولها أحاسيس غريبة لدى "مالتزان"، لكن بعد زوال الصدمة الأولى بدت له الصلوات، والسجدات مجرد أفعال مكررة، وخلال الأيام العشرين التي مكثها "مالتزن" في مكة سكن في بيت على سفح التلال في الحي الشمالي الغربي، والذي يكثر فيه سكن الحجاج الأفغان؛ ليسهل تخفيه بينهم بهيئة مغربي لا يعرفه أحد.

متّع "فون مالتزن" ناظريه بتنوّع الأعراق البشرية في اللون، واللغة، والملامح، وقارنها بالمدينة الأوروبية العادية، وحياة السكان المملة في أوربا.

وفي عرفة تمت إنارة المخيمات بمصابيح صغيرة، وفي صباح يوم عرفة رأى الجموع الحاسرة لرؤوسها تغطي عرصات عرفة، وترغب في سماع الخطبة، والتي شعر "مالتزان" بالملل أثناء سماعها.

وبعد رميه للجمار في اليوم التالي رجع إلى منزله سريعاً؛ ليستمتع بحمام بارد، وقابله مطوفه الذي رافقه، وكان يسبغ عليه الألقاب العربية، ومنها: (أمير الجزائر)؛ لما كان يغدقه عليه من المال، لكن كان عند الحمام حملة من الجزائريين الذين استغربوا من نداء المطوف: "ابتعدوا عن أمير الجزائر"، فأثار ذلك شكوكهم، فحاولوا التعرف على لهجته؛ لأن هيئته لم تكن توحي بأنه ولد لباشا الجزائر، ثم لم يلبث "مالتزن" أن سمع الصيحة المرعبة إنه (نصراني)، وقبل أن يصل الأمر إلى أن يسلموه للسلطات فرَّ سريعاً إلى جدة تاركاً متاعه وخادمه خلفه، وركب في سفينة بريطانية أقلته إلى بومباي، تاركاً خلفه ذكرياته عن رحلة مكة.

سمات المدرسة الألمانية في الرحلات إلى مكة المكرمة:

– تتميز المدرسة الألمانية بالدقة في البحث، والصبر في الحصول على المعلومات، كما أن لبلدهم مزية البُعد عن استعمار البلاد الإسلامية، مما بعث نوعاً من الاطمئنان في ابتعاد روادها عن خدمة المستعمرين، ودلالتهم على بلاد المسلمين وثرواتهم في الغالب.[73]

– امتد الحديث في كتب الرحلات الألمانية إلى مكة المكرمة عن تنوّع العرقيات، وتعدّد الأجناس التي تقصد مكة المكرمة، مع تعدّد لغاتهم، ولباسهم، وكل ذلك كان يبعث التأمل والدهشة، والحسرة بافتقاد أوروبا لمثل ذلك التعايش الجميل.[74]

– كانت مشاهد الحجاج في مكة، والنظرات الأولى للكعبة المشرفة لها تأثير في نفوس الرحالة، مع رؤيتهم لتأثر المسلمين بذلك، ولهجهم بالتلبية، والتهليل، والتكبير، مما خلف في نفوس بعضهم انطباعاً مؤثراً في مشاهداته لشعائر الحج.

---

72 **مكة في عيون رحالة نصارى**، أغسطس رالي، (223).

73 ينظر: **الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا**، د. ميشال جحا، (183-184).

74 ينظر: **مكة المكرمة في عيون رحالة نصارى**، أغسطس رالي، (223).

– تحدثت كتب الرحالة الألمان عن المشاكل التي تعترض الحجاج في طريقهم إلى مكة وعرفات من قبل البدو، وغاراتهم على متاعهم وإبلهم، وخوف الحجاج من ذلك.[75]

– ظهر لدى الرحالة البعد عن الاختلاط ببعض من الأجناس؛ إمعاناً منهم في التخفي والبعد عن كل ما يُثير الشكوك عنهم، لكن ذلك كان من جانب آخر سبب لنقص معلوماتهم أو ضعفها عن مكة وأهلها.

– يظهر في الرحلات الألمانية مبلغ القلق والخوف الذي يحمله الأوروبي وهو داخل في مكة، ومدى حرصه على التخفي والبُعد عن أنظار الناس؛ خشية انكشاف حقيقته.

المبحث الرابع: المدرسة الاستشراقية الإيطالية في الرحلات إلى مكة المكرمة

تُعد إيطاليا من أقدم الدول التي تحقق لها الاتصال بالعالم الإسلامي من جنوبه مباشرة، حيث وصلت جيوش المسلمين لجزرها وبلدانها الجنوبية، ومن قلبها روما تواصل العلماء الذين شهدوا حضارة المسلمين في القسطنطينية وبلاد الشام، ورضوا بالهجرة عن بلاد المسلمين والاتصال بأوروبا، واختاروا إيطاليا لهم مقراً، فقامت فيها حركة علمية واسعة كانت من أوائل أسباب النهضة الأوروبية فيما بعد.[76]

وفي جزيرة صقلية بنى المسلمون حضارتهم على فترات ودول متعاقبة، حتى تأثر ملوك صقلية النصارى الذين غلبوا المسلمين عليها فيما بعد بمآثرهم العلمية والحضارية، "وحتى كان ملوك صقلية، وأمراؤها عرباً في ثقافتهم، وأساليب حياتهم"[77].

وغزت فلسفة ابن رشد الأديرة والكنائس في روما، وانتشرت فيما بعد في أوروبا، وتم إنشاء كراسي للغة العربية في المجاميع والجامعات في إيطاليا على نفقة الملوك ورجال الدين؛ سعياً وراء ترجمة التراث العربي، والاستفادة من علومه، "فكانت إيطاليا أعرق أمم الغرب التي اتصلت بالشرق الأدنى اتصالاً وثيقاً منوعاً، ونالت الثقافة العربية واللغات الشرقية من الترجمة والحفظ والتعليم والنشر، بفضل الفاتيكان حظاً موفوراً موصولاً"[78].

وقد تميزت روما عن بقية مدن أوربا بكونها نقطة التقاء لكثير من الزوار القادمين من أقطار مشرقية عدة، مع اختلاف اهتماماتهم الدينية والعلمية، فكان ذلك مرغباً لدراسة اللغات والمعارف الشرقية، واكتشافها. [79]

وازداد الاهتمام بالشرق في إيطاليا مع حركة التوسع والاستعمار الأوروبي في القرن الثامن عشر والتاسع عشر، فزاد تنظيم الدراسات الشرقية، وتم إنشاء المطابع المهتمة بالعلوم الشرقية ولغاتها، من ذلك

---

75 **المرجع السابق**، (96).

76 ينظر: **مختصر تاريخ الكنيسة**، أندرو ملر، (415). وينظر: والمستشرقون، نجيب العقيقي، (405/1). والاستشراق والمستشرقون وجهة نظر، د. عدنان وزان، (109).

77 **المستشرقون**، نجيب العقيقي، (102/1).

78 **المرجع السابق**، (405/1).

79 ينظر: **تاريخ حركة الاستشراق**، يوهان فوك، (44-45).

إنشاء مطبعة البندقية سنة: (874هـ/ 1469م)، ومطبعة فانو سنة: (920هـ/ 1514م)[80].

وتبع ذلك رحلات علمية واستكشافية عديدة للبلاد الإسلامية، والجزيرة العربية على وجه الخصوص.

ولم يصل إلى مكة المكرمة من الرحالة في المدرسة الإيطالية إلا رحالة واحد، وهو الرحالة:

الرحالة: "جيوفاني فيناتي" (Giovanni Finati)[81]: (حاج محمد): رحلته: (1229–1230هـ/1814–1815م):

"جيوفاني" من الرحالة القلائل الذين دخلوا الجزيرة العربية بصفتهم محاربين لا رحالة، أو سفراء دولهم.

ولد "جيوفاني" في مدينة فيرارا وهي من الولايات الكهنوتية شمال إيطاليا، ولم يذكر بالتحديد تاريخ ولادته، وعاش في كنف والداه الذين امتهنا الزراعة، وتربى معهما على أن يكون قسيساً في الكنيسة، وليكون رجل دين مثل عمه، وهو الشيء الذي أبغض مزاولته في حياته، وحين بلغ سن الثامنة عشرة سقطت إيطاليا في يد فرنسا، وأُستدعي للتجنيد الذي فر منه مراراً، وتعرض من جراء ذلك للسجن حتى استطاع الفرار في آخر أمره إلى غرب أوروبا عن طريق البحر بواسطة ربّان ألباني، حيث تسيطر القوات العثمانية.

استقبله الأتراك والفارين معه بحفاوة لم تطل؛ بسبب عدم إعلانهم الإسلام، ممّا حدا به إلى إعلان إسلامه، وصار في خدمة ضابط تركي أحسن إليه وأكرمه، لولا أن "فيناتي" دخل في علاقة غرامية مع إحدى زوجاته، فاضطر للرحيل إلى مصر خوفاً من طائلة العقاب.

وفي مصر أعجب بشخصية حاكمها محمد علي باشا، والذي كان يخوض حرباً مع المماليك في الداخل، فدخل "فيناني" في خدمته، وتجنّد مع الجيش المصري التابع لمحمد علي، والذي انتقل بعد ذلك للقتال في الحجاز ضد السعوديين.

شارك "فيناتي" في القتال في جبهات عديدة مع طوسون باشا ابن محمد علي، ثم مع سيده محمد علي والذي دخل مكة للقائه والتقرب منه، وإخباره بحال الجنود ومعاناتهم في جنوب الحجاز، والذين كانوا يخوضون حرباً شديدة مع السعوديين وأنصارهم.

وصل "فيناتي" مكة في موسم الحج، وبدت له مكة لا كبيرة ولا جميلة، لكنها توحي بنوع من الجلال، تجمع فيها حوالي أربعون ألف حاج، وأدّى فيها شعائر الحج، لكن هدفه الحقيقي لم يكن إلاَّ

---

[80] ينظر: **الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر**، د. عدنان وزان (110).

[81] ينظر: **جيوفاني فيناني حياته ومغامراته في الجزيرة العربية**، (143–159) وينظر: مكة المكرمة في عيون رحالة نصارى، أغسطس رالي، (150–164). وينظر: **ارتياد الجزيرة العربية**، دافيد جورج هوجرث، (140–142).

ملاقاة محمد علي باشا، وهو ما تمَّ له بعد ذلك.

ثم شارك "فيناتي" في العديد من المواقع ضد السعوديين، والتي انتهى منها بالعودة إلى مصر بعد معاناة مع الطاعون الذي انتشر في ذلك العام بمكة وجدة، وشُفي منه بعد ذلك.

أبرز سمات المدرسة الإيطالية في الرحلات إلى مكة المكرمة:

– تعد المدرسة الإيطالية من أقدم المدارس الأوروبية التي تعرفت على المسلمين وثقافاتهم؛ نظراً لقربها الجغرافي، ولفتح المسلمين لجزيرة صقلية المجاورة لهم، مما أدى إلى ازدهار العلاقات الثقافية بين صقلية والعرب بعد ذلك، و"يلاحظ أن من أبرز دواعي اهتمام إيطاليا في الثقافة العربية منذ القرون الوسطى كان الدافع الديني، ثم ما لبث هذا الدافع أن تحول إلى دافع تجاري، ثم إلى دافع سياسي وخاصة عندما احتلت إيطاليا ليبيا سنة 1912م"[82].

– نظراً للمهمة التي كانت سبباً لدخول "فيناتي" إلى الحجاز وهي المشاركة في جيوش محمد علي فلم تكن له كبير ملاحظات عن مكة أو الحج؛ لبعدها عن هدفه الأساس، والذي ملأ بها صفحات رحلته بالمواقع والأحداث التي جرت لهم ضد الجيوش السعودية في شمال مكة وجنوبها.

– ممّا تطالعنا به رحلة فيناتي حدوث الطاعون الذي أصاب مكة، وأصيب به العديد من الجند منهم "فيناتي" إلاَّ أنه تعافى منه.

– كما ذكر "فيناتي" صعوبة الدخول إلى الكعبة المشرفة، وأن منظر مكة لا يتميّز إلاَّ بشيء من الجلال والمهابة.

المبحث الخامس: المدرسة الاستشراقية الفنلندية في الرحلات إلى مكة المكرمة

كان للفنلنديين صلة قديمة بالعرب، ظهر ذلك فيما وجد من نقود تشتبه في ضربها النقود العربية، وحين استولى الروس على فلندا اتصل طلابها الراغبون بالدراسات الشرقية بجامعاتها، ومعاهدها، وتخرجوا باللغات السامية على أساتذتها.[83]

ومن أشهر الجامعات الفنلندية التي اهتمت بالدراسات العربية، وضمت مكتبتها العديد من المخطوطات الإسلامية جامعة هلسنكي، وكانت اللغات الشرقية مقصورة فيها على العبرية، ثم توسعت بعد ذلك لتشمل العربية. [84]

وقد أشتهر في المدرسة الفنلندية إلى مكة المكرمة، رحالة واحد وهو:

الرحالة: "جورج أغسطس والين" (George Augustus wallin) [85]**: (ولي الدين):**

رحلته:(1261هـ/1845م):

الرحالة المولع بلغة الشرق وأرضه، والماهر في التنكر، حتى أنه لم يدوّن الكثير الكثير من

---

82 **الدراسات العربية واسلامية في أوروبا**، د. ميشال جحا، (84).

83 ينظر: **المستشرقون**، نجيب العقيقي (244/3).

84 ينظر: **المرجع السابق** (244/3).

85 ينظر: **المستشرقون**، نجيب العقيقي (244/3– 245). وينظر: طبقات المستشرقين، د. عبد الحميد صالح حمدان، (55).

انطباعاته عن زيارة مكة، مع تمكنه المعرفي والعلمي.

ولد "والين" عام 1811م في جزيرة آلان، وهاجر أبوه بعد ذلك بقليل إلى مدينة أبو (**Abo**) الفنلندية، حيث تلقى تعليمه، ومنذ صغره تميّز باستقلاليته، وبساطته، وحبه للمغامرة.

وفي سنة 1836م كان والين قد أتقن تسع لغات، وأكثر ما كان يجذبه اللغات الشرقية، وعلى رأسها الفارسية، والعربية.

ذهب "والين" إلى سنت بطرسبيرج، حيث درس سنتين في الجامعة، ومعاهد الدراسات الشرقية، فاكتسب طلاقة في اللغة التركية، والعربية، والفارسية، وبدت ترتسم له خطة الرحلة إلى الجزيرة العربية، فحصل على منحة دراسية من جامعته؛ لزيارة الجزيرة العربية التي أُولع بها.

كلف في مهمته بالسفر إلى المناطق الجنوبية لنجد للحصول على معلومات عن طبيعة وقوة الوهابيين هناك، ثم الذهاب إلى اليمن للحصول على النقوش والكتابات الحميرية في تلك البلاد.[86]

سافر عام 1844م إلى القاهرة، وتنكّر في زي مسلم، وفي عام 1845م بدأ في رحلة صحراوية عبر شمال الجزيرة العربية برفقة اثنين من البدو، لكن الطبع المتكتم للعرب، والمسير المرهق السريع للجمال في أسفاره، مع خوفه من الخطر بين الحجاج منعه من تدوين ملاحظاته، والتي حالت دون التعرف على تفاصيل رحلته إلى مكة والمدينة، كما حاول العودة ثانية إلى اكتشاف الجزيرة العربية، والتمتع بأجوائها، وبساطة أهلها، لكنه لم يستطع الحصول على منحة أخرى.

عمل "والين" فيما بعد أستاذاً في جامعة هلسكني، وهو أول من أدخل اللغة العربية فرعاً مستقلاً فيها، وقد سافر خلال السنوات السبع التي قضاها في الشرق الأوسط إلى إيران عن طريق الخليج العربي، وإلى العراق، وسوريا، مع إقامته في وسط الجزيرة العربية وتجوله فيها وصولاً إلى الحجاز ثم اليمن.[87]

أبرز سمات المدرسة الفنلندية في الرحلات إلى مكة المكرمة:

- لا يوجد تفاصيل كبيرة في رحلة "أوغست" إلى مكة، ولعل حبه للصحراء ومناطقها وقبائل أهلها وعاداتهم أخذ النصيب الأكبر في الحديث عن رحلاته في الجزيرة العربية.

- اهتم في رحلته ببيان ووصف الطريق إلى مكة المكرمة، ووصوله إلى العديد من المدن العربية في طريقه إليها، والذي تميّز بحسن الوصف للمشاهد والأشخاص والقبائل، مع ذكر نبذة عن تاريخهم القديم.

- كانت رحلة "أوغست" مهتمة بالقبائل والعادات في شبه الجزيرة العربية في وسطها وشمالها، أكثر من اهتمامه برحلة الحج، والحديث عن مكة المكرمة.

- أشار والين في رحلته إلى التحديات الصحية التي كانت تواجه مكة، كما ذكر بعض المصاعب

---

86 ينظر: **بلاد العرب القاصية**، بيتر برينث، (131).

87 ينظر: **المرجع السابق**، (132).

والمشاق التي كان يعاني منها الحاج أمام جو مكة وشمسها الحارة.

– في رحلة "أوغست" استمرار لما يذكره الرحالة في تلك القرون من مخاوف الطريق، وما يثيره الأعراب من خوف شديد في نفوس الحجاج على أنفسهم وأموالهم.

المبحث السادس: المدرسة الاستشراقية الهولندية في الرحلات إلى مكة المكرمة

كان للخلاف الديني الذي وقع في أوروبا، وما نتج عنه من ظهور حركة الإصلاح الديني، ودعوتها إلى الرجوع إلى التوراة؛ لفهمه وتفسيره مباشرة، مع ما يقتضي ذلك من الرجوع إلى اللغات القديمة وتعلمها من أمثال العبرية، واليونانية، واللاتينية، وما يقتضيه فهم العبرية فهماً دقيقاً من التعرف إلى اللغات السامية، ومنها العربية، والذي رغّب بعض الغربيين في التعرف على العلوم العربية، والعناية بها.[88]

ومع ظهور عصر الاستعمار، والتمدد الأوروبي الذي قادته البرتغال، وخلفتها هولندا في الوصول إلى طرق التجارة، وبلاد الهند باسم الشركة الهندية، وبلاد الشرق البعيدة في إندونيسيا، والتي جعلتها تتواصل مع المسلمين بطرق مباشرة.

وكانت هولندا تسمح لرعاياها في مستعمراتها بممارسة شعائرهم الإسلامية من الحج والزكاة، والتحاكم إلى أحكام دينهم الإسلامي، وكان ذلك يدعو إلى التعرف على شعائر المسلمين، وثقافتهم الإسلامية، ورصد آثارها على الرعايا المسلمين، وقيام نهضة علمية استشراقية في هولندا اهتمت بعلوم المسلمين وحضارتهم. "فتوسع الهولنديين في حكم إندونيسيا إدارياً وقضائياً؛ حملهم على التعمق في الدراسات الإسلامية على تنوّع أغراضها، ومذاهبها"[89].

وكانت الجامعات والمراكز الهولندية قبلةً للأوروبيين؛ للتعرّف على الحضارة الإسلامية، وتعلم اللغة العربية، والتعرف على الحضارة الإسلامية في الطب، والرياضة، والفلسفة وغيرها، ومن أشهرها جامعة ليدن، والتي أنشأت كرسياً للعربية عام: (1599م)، وتبع ذلك إنشاء كراسي للدراسات الإسلامية، واللغات السامية، وغيرها.[90]

وقد أشتهر رحالة واحد في المدرسة الهولندية إلى مكة المكرمة وهو:

الرحالة:"كرستيان سنوك هورخرونيه" (Christian Snouck Hurgronje) [91]: **(الحاج عبد الغفار): رحلته: (1303هـ/ 1885م):**

يُعتبر "سنوك" من أبرز الشخصيات التي زارت مكة بعد "علي باي العباسي"، و"بوركهارت"، و"بيرتون"، والذي أكمل بدراسته عن الشؤون العلمية والاجتماعية لمكة ما فات من قبله، " "فلسنوك

---

88 ينظر: **المستشرقون**، نجيب العقيقي، (294/2).

89 **المرجع السابق**، (294/2).

90 ينظر: **المرجع السابق**، (295/2- 296).

91 ينظر: **صفحات من تاريخ مكة المكرمة**، سنوك هورخرونيه، (85/1-327) و(341/2-663)،و ينظر: المستشرقون، نجيب العقيقي (315/2-316)،**ومكة المكرمة في عيون رحالة نصارى**، أغسطس رالي،(245-261). وطبقات المستشرقين، دكتور: عبد الحميد صالح حمدان، مكتبة مدبولي، (148-149). وتاريخ حركة الاستشراق، يوهان فوك، (251-249).

هورخرونية" مكانة ممتازة بين المستشرقين في ميدان الدراسات المتعلقة بالإسلام: ديناً وشريعة ووضعاً في الحاضر، وقد كان عالماً وسياسياً في آن معاً"[92].

ولد "كرستيان سنوك" في شمال بدابانت بهولندا، سنة 1857م، وتلقى تعليمه في بريدا بجنوب هولندا، ودخل بصفته طالب لاهوت في ليدن سنة 1874م، وبعدها بعام رسخ نفسه في كلية اللغات السامية وآدابها، وحصل على درجة الدكتوراه سنة 1880م، وكان موضوعها (الحج في الإسلام)، وعيّن محاضراً عن المؤسسات الإسلامية في كلية تدريب ليدن لموظفي الجزر الشرقية.

وفي عام 1884م حصل على إجازة من دون راتب؛ ليسافر إلى الجزيرة العربية وأمضى ستة أشهر في مكة، لكنها لم توافق موسم الحج، ولما عاد إلى وطنه استأنف نشاطه في التدريس في ليدن، كما كان يقوم بالتدريس في مدينة دلفت في معهد مماثل خاص بتعليم العاملين في إندونيسيا، وفي عام 1889م عمل في خدمة إدارة المستعمرات الهولندية في إندونيسيا، فعمل مستشاراً للحاكم العام الهولندي في إندونيسيا، ثم مستشاراً في اللغات الشرقية والشريعة الإسلامية، وأتقن مع اللغة العربية لغة الملايو.

أشهر "سنوك" أن هدفه من رحلته إلى مكة علمي وغير شخصي، وأن وراءه دراسة أثر الإسلام في الحياة السياسية، والاجتماعية في مجتمع لم تصل إليه التأثيرات الغربية، مع وجود هدف آخر غير معلن وهو دراسة تأثير مكة والحج في حركات الاستقلال والمقاومة الإندونيسية والتي تسيطر عليها هولندا في ذلك الوقت.

كان "هورخرورنيه" عالماً بالعربية قبل ارتحاله إلى الشرق، لكنه حرص على اكتساب اللهجة المحلية، حيث أمضى خمسة أشهر في جدة بمنزل القنصل الهولندي، وفي السادس من جمادى الأولى سنة (1302هـ- 1885م) غادر جدة برفقة جاوي وأربعة جمال، ومكث فيها حتى ذي القعدة بصفته معتنقاً للإسلام، وطالباً لتعلم القرآن.

وفي رحلته وصف أهل مكة بأنهم خليط متعدّد الأجناس، لكنهم يحملون صبغة عربية مستمدة من الأشراف، والسادة، والأسر المكية العريقة، ويعود ذلك التنوّع إلى الزواج بين نساء البلد والأجانب، والذين يصلون بسبب الهجرة إلى مكة هرباً من الحروب، أو طلباً للأجر بالجوار.

ويصف لهجة أهل مكة بلهجة غرب الجزيرة العربية، لكن كل أمة تركت أثراً على أبنائها من خلال بعض الكلمات المستعارة، لكنه على خلاف "بوركهات" الذي ذكر أن المكيين نادراً ما يستعملون الألفاظ النابية، فقد ذكر "هورخرونيه" أنه وجدهم يستخدمون الألفاظ السيئة غالباً بما في ذلك الأطفال في سن السادسة الذين كانوا عند أدنى إثارة يتلفظون بأقسى العبارات.

كما تحدّث عن أحياء مكة، وتعدّد طبقات أهلها بين فقر وغنى، واختلاف أجناسهم، ويُشير

---

92 **موسوعة المستشرقين**، د. عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، الطبعة الثانية 1989م، (245).

"هورخرونيه" إلى انشغال أغلب سكان مكة بالتجارة، أمَّا الصناعة فهي بيد الأجانب، ويذكر أن العمل الرئيس للمكيين من الشريف إلى المتسول هو استغلال الحجاج!، وفي ذات الوقت يحكي عنهم أنهم كرام حتى الإسراف، وأذكياء، ويهتمون بالتواصل الاجتماعي، والتسلية والنزهة.

ويتحدّث "سنوك" عن الأحوال الاجتماعية لأهل مكة، فالرجال يشتغلون بالتجارة والطوافة، وأطفالهم يقلدونهم في مهنتهم، كما أن المرأة العربية تلقى معاملة طيّبة من زوجها، واستشارة لها في شؤون المنزل.

كما تحدّث عن الإماء في مكة، واعتبر سوق العبيد في مكة السوق الأعظم على مستوى العالم لكن عدد العبيد معتدل. كما كتب عن إكرام المكيين لمن تحت أيديهم من الإيماء والعبيد، ومعاملتهم بالحسنى.

وفي الاهتمام بالتعليم ذكر أن المسجد الحرام فيه العديد من دروس المنطق، والعقيدة، والنحو، والفقه، لكن دروساً في التاريخ، والجغرافيا لا تحظى بأهمية، ومن الفنون المبجلة التي رآها في مكة فن التجويد، والاهتمام بقراءة القرآن وإسماعه.

انقطعت دراسة "هورخرونيه" بشكلٍ مفاجئ؛ بسبب طلب السلطات منه الرحيل والخروج عبر جدة بسبب مضايقات واتهامات حدثت له؛ إثر أحداث موت أحد الرحالة الفرنسيين في الجزيرة العربية، والإعلان في الصحف العالمية أن "هورخرونيه" كان له يدٌ فيها مع نفيه القاطع لذلك.

لقد كان "سنوك" متميزاً في رحلته عن كل من سبقوه والذين فاقهم" بموضوعيته ومعرفته اللغوية بدرجة كبيرة، وإن لم يطلع على أحداث الحج فقد قدم في كتابه مكة وصفاً دقيقاً للمدينة وتاريخها"[93].

أبرز سمات المدرسة الهولندية في الرحلات إلى مكة المكرمة:

– يعد كرستيان "سنوك هورخرونيه" من الرحالة الذين وصلوا مكة، وقد بلغوا قدراً كبيراً في دراسة الإسلام والشرق عموماً وتعلم لغاته، ولذلك يُعتبر كتاب "سنوك" من أبرز كتب الرحلات إلى مكة المكرمة؛ نظراً للمعرفة التي قدّمها "سنوك"، والكتابة الأكاديمية التي تميّز بها، وذلك ظاهر في حديثه عن قضايا مختلفة في رحلته عن المجتمع المكي، وفئاته، وأعماله بطريقة علمية واضحة.

– وممَّا تميّزت به المدرسة الهولندية الحديث عن المجتمع المكي بقدر من التفصيل والبسط، فقد تحدّث "سنوك" عن أجناس أهل مكة، وطباعهم، بل والحديث عن نسائهم، وأموالهم، والحديث عن العبيد، والأغوات[94]، حتى وصف سوق العبيد المقام بمكة بأنه الأضخم في العالم. [95]

– كما تحدّث "سنوك" عن الحياة العلمية في مكة، وطباعة الكتب فيها، ووجود الصحف بها،

---

93 **تاريخ حركة الاستشراق**، يوهان فوك، (209-208).

94 الأغوات: مفردها آغا وهي كلمة تركية، وأطلقها الأتراك على عدد من الوظائف وإن كانت في الأصل بمعنى الأخ الكبير. وتعني في جملة ما تعنيه: الرئيس والسيد وصاحب الإقطاع، ينظر: **تكملة المعاجم العربية**، لرينهارت بيتر آن دُوزِي، ترجمة: محمَّد سَليم النعَيمي وجمال الخياط، طبعة: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة: الأولى، (155/1).

95 ينظر: **مكة في عيون رحالة نصارى**، أغسطس رالي، (253).

كما تحدّث عن دروس الحرم المكي، والذي تكثر فيه دروس العقيدة، والمنطق، والشريعة، والنحو مع افتقارها لدروس الجغرافيا، والتاريخ. كما أشار "سنوك" إلى اهتمام المكيين بعلم التجويد، ومدارستهم له، وبيّن طرق تعلّم الطب عندهم.

لقد تميزت رحلة "سنوك" بشموليتها وتفصيلاتها التي لم تحزها رحلة أخرى، "وكتاب "هورخرونية" يمثل دراسة دقيقة للعرب كما رأها من وجهة نظر أوروبية بحتة"[96].

الخاتمة:

- **نتائج البحث:**

1. بدأت طلائع المستشرقين مع بدايات النهضة الأوروبية، ووصلت إلى بلاد المسلمين في أواسطها وأقصاها، لا تكلّ، ولا تملّ، بأسلحة الأقلام التي لا تقف عن الكتابة، وكانت رحلات وكتابات الرحالة الأوروبيين هي الأبرز.
2. يعد القرن العاشر الهجري، وما بعده بداية النشاط والتأليف في كتب الرحلات إلى مكة من لدن الرحالة المستشرقين، مع ما صحبه من اهتمام بالغ من الغربيين للتعرف على مكة وأسرارها، والتعرف على أحوال المسلمين وشعائرهم في مكة.
3. ما إن جاء منتصف القرن الثامن عشر الميلادي وما بعده لتبدأ أسراب الرحالة تصل إلى مكة، وكثير منهم كان يُقدم عمله في صورة تقرير لمهمته التي بعثته قوى أو جمعيات في بلاد أوربا، وكأنه طي لصفحة وعهد الرحالة المغامر؛ ليبدأ عهد الرحالة المستكشف.
4. كتب الرحالة القادمين من أوروبا إلى مكة العديد من انطباعاتهم عن أهل مكة، وتضاريسها، ومناخها، ووصف أحوالها والثقافة الغالبة فيها وفي أهلها وزائريها من الحجاج والمعتمرين، بأقلام لا تكل ولا تمل، وبأسماء إسلامية تُقدم لقب الحاج، الذي يعتبر مفخرة عند المسلمين لكل من حج البيت.
5. مع اتفاق أهداف وغايات المدارس الاستشراقية الأوروبية في الرحلة إلى مكة المكرمة، بيد أن كل مدرسة منها كانت لها سمات تميزها عن بقية المدارس.
6. الرحالة إلى مكة من الأوروبيين المستشرقين مع أنهم مختلفين في أهدافهم، وأزمانهم، وبلدانهم، لكنهم يتفقون في قصدهم لمكة المكرمة، وكتابة رحلاتهم، وتدوين انطباعاتهم عنها، فهم في الأصل مجموعة متنافرة لكنهم رسخوا أنفسهم لموضوع واحد اجتمعت حوله أهدافهم.

---

96 **ارتياد الجزيرة العربية**، دافيد جورج هوجرث، (290).

التوصيات:

1. التوصية بجمع كتابات الرحالة المستشرقين الأوروبيين وتصنيفها حسب موضوعاتها أو حسب أصناف المستشرقين، فهي مادة معرفية وثقافية مهمة.
2. التوصية بإفراد كل مدرسة من مدراس الاستشراق الأوروبية إلى مكة في بحث خاص بها وبرحالتها البارزين.
3. التوصية بالكتابة عن المستشرقين الأوروبيين الرحالة إلى مكة المكرمة حسب أنواعهم وأصنافهم.

قائمة المصادر والمراجع:

- اندرومار، **مختصر تاريخ الكنيسة**، مكتبة الإخوة، الطبعة الخامسة، 2008م.
- باديا، دمنجو، **رحالة إسباني في الجزيرة العربية**، ترجمة: د. صالح بن محمد السنيدي، (دارة الملك عبد العزيز، 1429هـ).
- بدول، د. روبن، **الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية**، ترجمة د. عبد الله نصيف.
- بدوي، عبد الرحمن، **موسوعة المستشرقين**، (دار العلم للملايين، الطبعة الثانية 1989م).
- برينث، بيتر، **بلاد العرب القاصية**، ترجمة: خالد أسعد وأحمد غسان سبانو، (دار قتيبة1411هـ).
- بيرين، جاكلين، **اكتشاف الجزيرة العربية**، تعريب: قدري قلعجي، (مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى،2006هـ).
- بيرين، جاكلين، **رحلة فارتيما**، ترجمة: عبدا لرحمن الشيخ، (طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب،1994م).
- بيرين، جاكلين، **اكتشاف الجزيرة العربية**، تقديم: حمد الجاسر، ترجمة: قدري قلعجي، (دار الكتاب العربي، 2006م).
- تاميزيه، موريس، **رحلة في بلاد العرب**، الحجاز، دار بلاد العرب، 1421هـ، ترجمة: د. محمد آل زلفة، (دار العرب 1423هـ).
- الحربي، عبد العزيز بن علي، **القول المبين في المتلول للجبين**، الطبعة الأولى1437هـ، د. ن.
- حمدان، عبد الحميد صالح، **طبقات المستشرقين، مكتبة مدبولي**، د. ط.
- جحا، د.ميشال، **الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا**، الطبعة الأولى 1982م.
- الدمشقي، أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي السلام، (دار طيبة، الطبعة الثانية1425هـ).
- دُوزِي، رينهارت بيتر آن، **تكملة المعاجم العربية**، ترجمة: محمَّد سَليم النعَيمي وجمال الخياط، (طبعة: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة: الأولى).
- رالي، أغسطس، **مكة المكرمة في عيون رحالة نصارى**، ترجمة: أ.د حسن غزالة، (طبعة دارة الملك عبد العزيز، 1430هـ).

- روش، ليون، **اثنتان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام مذكرات ليون روش عن رحلته إلى الحجاز**، ترجمة: محمد خير البقاعي، (جداول للنشر، الطبعة الثانية،2014م).
- روشيه، ليون، **اثنان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام**، ترجمة: محمد خير البقاعي، جداول للنشر، الطبعة الثانية،2014م.
- الزبيدي، محمد بن محمد، **تاج العروس من جواهر القاموس**، د. ط، (دار الهداية).
- السباعي، د. مصطفى، **الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم**، دار النبراس ودار الوراق، الطبعة الثالثة، 1435هـ.
- السرياني، أ. د محمد، **مكة المكرمة في عيون غير المسلمين**، معراج النواب، مركز تاريخ مكة، الطبعة الثانية،1432هـ.
- سعدالله، بلقاسم، **رحلة ليون روش إلى الحجاز (1841م-1842م)**، ضمن بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية المنعقدة في الرياض في المدة من 24-27رجب1421هـ.
- سعيد، إدوارد، **الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق**، ترجمة: محمد عناني، (رؤية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2006م).
- سمير عطا الله، **قافلة الحبر الرحالة الغربيون إلى الجزيرة والخليج 1762-1950م**، (دار الساقي، الطبعة الثانية،1998م).
- السيد، رضوان، **المستشرقون الألمان النشوء والتأثير والمصادر**، (دار المدار الإسلامي، الطبعة الثانية 2016م).
- الصالح، أ.د.عبد العزيز، **الرحلات والكشوف الأثرية للعصر الحديث في شبه الجزيرة العربية**، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية تصدر عن جامعة الكويت، الطبعة الأولى،1981م.
- العثيمين، محمد بن صالح، **الشرح الممتع على زاد المستقنع**، (دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، 1425هـ).
- العساف، صالح، **المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية**، (مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ١٤١٦هـ).
- العقيقي، نجيب، **المستشرقون**، دار المعارف، الطبعة الخامسة 2006م.
- علي، عرفة عبده، **أوروبيون في الحرمين الشريفين**، (عالم الكتب، الطبعة الأولى، 2014م).
- فوك، يوهان، **تاريخ حركة الاستشراق الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين**، ترجمة: عمر لطفي العالم، (طبعة دار قتيبة، الطبعة الأولى1417هـ).
- فيناني، جيوفاني، **جيوفاني فيناني حياته ومغامراته في الجزيرة العربية**، ترجمة: دار بلاد العرب، (طبعة دار بلاد العرب، الطبعة الثالثة 1435هـ).
- -كحالة، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني، **معجم المؤلفين**، (مكتبة المثنى ودار إحياء

التراث العربي)، د. ط.
- الكرماني، تقي الدين يحي محمد، **مختصر تاريخ مكة المشرفة**، (طبعة الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، الطبعة الأولى، 1437هـ).
- محمود شاكر، **رسالة في الطريق إلى ثقافتنا**، (مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية، 1427هـ).
- محمود، أحمد محمد، **الرحلات المحرمة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة**، (مطبعة المحمودية، الطبعة الأولى، 1430هـ).
- نواب عواطف محمد، **مكة المكرمة بين الحقيقة والادعاء في نصوص ثلاثة رحالة أوربيين**، بحث مقدم لندوة مكة عاصمة الثقافة، عام:1426هـ، (طبعة جامعة أم القرى، الطبعة الأولى).
- هوجرث، دافيد جورج، **ارتياد الجزيرة العربية**.
- هورخرونيه، سنوك، **صفحات من تاريخ مكة المكرمة**، ترجمة وتعليق: د. محمد السرياني، ومعراج نواب، مركز تاريخ مكة المكرمة، الطبعة الثانية 1432هـ.
- هول، ريتشارد، **إمبراطوريات الرياح الموسمية**، ترجمة: كامل يوسف حسين، الطبعة الأولى، 1966م، طبعة مركز الأمارات للدراسات والبحوث.
- وزان، عدنان، **الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر**، (مطبعة رابطة العالم الإسلامي)، د. ط.
- K. M. PANIKKAR-، **ASIA AND WESTERN DOMINANCE** ، FIRST PUBLISHED IN 1953